روايات عبير



اليزابث غراهام

أنين السّاقية



٩٤

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 94

أنين السّاقية

رفّه عن نفسك! تعرّف الى شخص آخر! لا تيأس! عبارات تقال دائما لجريح القلب.

كوري المعلمة الصغيرة، المتخرجة حديثا، يجرحها الحب، لكن يأتي من يعرض عليها صفقة بديلة يقصد بها ترفيهها وابعادها عن مصادر الألم.

كريغ مابسون يقدم لها وظيفة معلمة في مزرعته البعيدة، ثم يطلب يدها في زواج شكلي هدفه الاعتناء بطفل شقيقه الراحل، ومساعدته على ربح دعوى الحضانة لضم الطفل اليه.

... تقبل كوري وتسافر معه الى مزرعته، وتسير الأمور كما رسمها كريغ، الى ان تظهر ماريزا والدة الصبي الجميلة وعازفة البيانو الشهيرة. زواجها الأبيض اسودت صفحته في الكوخ حين تكتشف كوري حبها اللانهائي لكريغ...

لكن ماريزا بالمرصاد لأخذ كريغ والطفل والمزرعة. تلملم كوري جرحها وتبتعد تاركة كل شيء للمنتصرة.

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
MASON'S RIDGE

١ - الجرح في القلب

«ألم ترتدي ثيابك بعد يا كوري؟ أرجوك اسرعي. المدعوون سيكونون هنا خلال دقائق».

بهذا بادرت دورين بيدج شقيقتها التي كانت ما تزال تجلس امام المرآة منذ بعض الوقت من دون ان تغيّر في هندامها. ودورين كانت مكتملة الاناقة في ثوب طويل للسهرة. حدقت في شقيقتها التي راحت تسرّح شعرها الطويل مجيبة:

«لا تستعجليني يا دورين. انا لا اظن ان وجودي بين ضيوفك ضروري لخطة وصولهم».

وأضافت وهي تتحرّك نحو الخزانة بحثاً عن فستان:

«وانا لا اظن كذلك ان وجودي في الحفلة كلها ضروري».

ردت دورين فوراً:

«الامر ضروري جداً لدى هاورد. وانت تعرفين ذلك. ان كبار المستثمرين في المصرف سيكونون هنا الليلة».

وتابعت ببطء:

«يجب ان تعترفي بفضل هاورد عليك. على الاقل يمكنك ان....».

قاطعتها كوري وهي تضع فستاناً ابيض عليها وتدير ظهرها لشقيقتها البكر كي تشدّ لها السحّاب.

«لا بأس يا دورين. هاورد سيرتاح من مصاريفي خلال وقت قصير. وحالما تصلني شهادة التعليم سوف....».

«لا تتكلمي هكذا. انت تعرفين جيداً ان هاورد سعيد في مساعدتك على اكمال دراستك، خصوصاً بعدما انتقل والدنا الى ولاية اريزونا للتقاعد هناك. لم يتذمر يوماً من هذا الموضوع. ولكنني اعتقد...

«اعرف يا اختي تماماً ما تعتقدين: ان هاورد عزيز جداً».

واضافت متهكمة:

«على الرغم من انه ثري جداً».

ردت شقيقتها باستغراب:

«انا لا افهم موقفك السلبي من الرجال الاغنياء. وانا سعيدة جداً لان خطوبتك لروجر انتهت. انت لا تعرفين معنى العيش في فقر الى ان تجربي ذلك بنفسك».

ابتسامة كوري اختفت من وجهها مع ذكر روجر هانسن جلست بعصبية امام المرآة وتناولت فرشاة راحت تسرّح بها شعرها بضربات عصبية.

ادركت دورين تسرّعها في ابداء الملاحظة. فقالت مازحة:

«لا بأس يا حبيبتي. هذه الليلة ستلتقين برجال جدد لم تلتقيهم من قبل هنا. لا بد ان ينالوا اعجابك».

«لن يكونوا مختلفين عن غيرهم. رجال في أواخر الاربعينات، شقر ومترهلين في كل حال يا دورين انا لست مهتمة بالرجال هذه الايام. وربما لن اهتم في المستقبل».

مدّت دورين يديها نحو كتفي شقيقتها بتعاطف جعل الدموع تغمر عيني

كوري.

فقالت دورين:

«انا اعرف ان ما حصل لم يكن سهلاً عليك. ولكنني انا شخصياً عندما اكون متضايقة من اي شيء، اجد الحلّ في الاختلاط والترويح عن النفس في الحفلات».

وجاء صوت هاورد من بعيد يدعو الفتاتين للالتحاق به في الطبقة الارضية.

فانسحبت دورين قائلة:

«سوف أخبر هاورد انك قادمة خلال لحظات. هو دائماً يقول انك جيدة في التعامل مع الناس ويعتمد عليك في حفلات العمل كالتي نقيمها الليلة».

وخرجت دورين مطمئنة الى موافقة شقيقتها واغلقت الباب مخلفة كوري تحارب الدموع وتمنعها من ان تنهمر على وجهها. كوري كانت دائماً ترفض الدموع وتعتبرها حكراً على النساء. لم تتجاوز الثانية والعشرين من العمر، وبمرحها كانت دائماً تتجاوز خيبات الامل التي تمرّ في حياتها. ولكن خيبة الامل الاخيرة كانت اكثر مما تستطيع تحمله. فقبل يومين فقط ذهبت الى شقة روجر التي يشاركه فيها طالبان في الحقوق مثله، ووجدته وحده ولكن مع آنجي في السرير! صدمتها المفاجأة. هبّ روجر هو الآخر مصدوماً، ووضع رداءه عليه بسرعة وقال محاولاً التبرير والاسترضاء:

«كوري، ان الامر ليس كما يبدو».

وبدا دفاعه ضعيفاً. فقالت وهي تكاد تختنق من غيظها وتنسحب الى الباب:

«طبعاً الامر ليس كما يبدو يا روجر انت ربما تعطيها دروساً في التنفس الاصطناعي بواسطة الفم. خذ هذا وضعه على انفها، واسحبها الى الشاطىء للسلامة».

قالت ذلك وهي ترمي له خاتم الخطوبة بعدما سحبته من اصبعها، وخرجت من الشقة الى غير رجعة.

نظرت الى نفسها في المرآة وتساءلت: ترى هل ازعجها كونها ذهبت الى روجر وفي رأسها الرغبة التي كانت لدى آنجي؟ هي اختلفت مع روجر

لأنها رفضت ان تستجيب لرغباته قبل الزواج. وهو اعتبرها متخلفة عن العصر في موقفها وحصل صدام. ذهبت اليه لتعيد المياه الى مجاريها ولكنها اصطدمت بغريمتها هناك. مسحت الدموع من عينيها الخضراوين. صحيح انها خسرت روجر من اجل فتاة ربما اجمل، ولكنها هي ذاتها ما تزال نقية مثل زهرة ربيعية. الفكرة انعشتها واعطتها العزاء.

وبعد وقت قليل كانت كوري في الطبقة الارضية تتبختر في فستان السهرة بين الضيوف والاثاث الفخم. ثم تنتقل الى الباحة الخارجية المطلة على مدينة فانكوفر التي بدت تلمع باضواء الكهرباء تحت سماء سوداء تتخللها النجوم والقليل من الغيوم. الابواب بين القاعة الكبرى والباحة الخارجية كانت مفتوحة مسهلة للضيوف الانتقال الى الخارج والاستمتاع بطقس استثنائي في ليل أيار (مايو). راحت كوري ترد الابتسامات الى وجوه سبق ان التقت بها في حفلات كان يحييها هاورد زوج شقيقتها كمدير للمصرف. توقفت قليلاً لتبادل الحديث مع عائلة ديلاني الغنية بالاخشاب والمتواضعة في التصرف عكس الآخرين. لفتها من بعيد شخص طويل بعينين شديدتي السواد تنظران اليها. ادارت ظهرها لتتابع الحديث مع الحلقة المحيطة بها. وفكرت ان عيني اي رجل لن تهمها اكانت سوداء أم ملونة. ومع ذلك شعرت ان عينيه تراقبانها من بعيد. لم تتمالك من الاستدارة لتنظر اليه ببرود. بدا غريباً، اسمر اللون، اسود الشعر والعينين. سترته البيضاء ساهمت في ابراز بشرته التي لفحتها اشعة الشمس، ولم تخف اتساع منكبيه. بدا من الرجال الذين تنجذب اليهم النساء خصوصاً اللواتي احظن به مع ازواجهن. وبدت فتاة شقراء الى جانبه متأبطة ذراعه. اعادت كوري رأسها نحو المحيطين بها من دون اكتراث للناظر اليها من بعيد. وانضم اليها هاورد مبتسماً. هي معجبة بزوج شقيقتها. كان كريماً جداً معها ومع اهلها. يقترب من الخمسين في حين ان دورين لم تتجاوز الثلاثين. تمنت ان يحقق حلمه بانجاب ولد واحد على الاقل. كانت متأكدة انه سيكون والداً حنوناً.

فريد ديلاني قال لهوارد مبدياً اعجابه بكوري:

«هذه الفتاة ان رغبت في العمل لدي في شركتي سأكون اكثر من سعيد. انّ ابتسامتها ساحرة».

فمد هاورد ذراعه في اخوة نحو كتفي كوري وقال مبتسماً:

«اعتذر يا فريد، اعتقد انّ عليك الانتظار في الصف من بعدي ومن بعد ادارة المدرسة التي ترغب في كوري».

ابتسمت كوري وقالت منسحبة:

«أفضل الانسحاب على ان يصيبني الغرور من جراء مديحكم».

واستدارت الى الوراء وسارت لتجد دورين مع الرجل الاسمر الذي كان يحدق فيها قبل قليل. وبادرتها دورين:

«يا كوري، هنا شخص طلب ان يقابلك».

قالت ذلك في ابتسامة فهمت منها كوري ان الرجل مهم جداً، على الاقل في عيني دورين. وتمّ التعارف:

«غريغوري مايسون شقيقتي كورين ديفيس».

«كيف حالك آنسة ديفيس».

قال الرجل الطويل امامها ماداً يده الكبيرة نحو يدها التي بدت بحجم العصفور الصغير. عن قرب بدا الرجل أشدّ سمرة مما اعتقدت نتيجة حمامات شمسية مكثفة. على احدى وجنتيه تظهر آثار جرح كبير تنتهي في شعره الاسود.

شعرت كوري انها احمرّت خجلاً عندما نظرت الى عينيه الجريئتين. ولم تفهم ما كانت تقوله دورين الى ان انتهت.

«. . . مزرعة في الداخل. ومع ذلك لا افهم كيف يمكنك ان تعيش في مكان معزول كهذا يا سيد مايسون. ان الحياة هنا اكثر اثارة».

«ان في المزرعة الكثير من الاثارة يا سيدة بيلدج. ربما ليست الاثارة التي انت معتادة عليها هنا او التي يهمك امرها، ولكنها تلائمني جداً».

وتابع هو ينظر الى كوري:

«انّ الحيوان اكثر اثارة من الانسان في كثير من الاحيان».

«انت تمزح بالطبع».

قالت دورين مبتسمة. واختصرت الموضوع بتغييره قائلة:

«اظن من المناسب ان اترككما معاً لتتعارفا. وسألتحق بهاورد الذي يبدو انه بحاجة اليّ».

وراقبت كوري شقيقتها تنسحب الى حيث وقف هاورد حتى كادت

تنسى الرجل الواقف الى جانبها الى ان قال:
«هل تتحدّث في الخارج؟ هناك بعض الهدوء. وأظن انك تملكين لساناً يمكن ان ينطق».
احمرّت كوري مجدداً. وشعرت بانزعاج من تصرفه الواثق خصوصاً عندما وضع يده تحت ذراعها وقادها الى الخارج.
«نعم املك لساناً. ولكن الكثيرين يجدونه مرّاً».
وعندما توقّفا في احدى زوايا الباحة الخارجية وجلسا على مقاعد وثيرة قال:
«واعتقد انه، اضافة الى كونه مرّاً، يمكن ان يكون جذاباً ان تركت له العنان».
وشعرت كوري بالعداء تجاه الرجل الذي تلتقيه لاول مرة. ولم تفهم لماذا؟ ربما لثقته الزائدة في نفسه وفي اعتقاده انها ستفرح لمجرد اختيارها من بين جميع النساء في القاعة لينفرد بها. ان شكله يجذب مختلف انواع النساء وحتى آثار الجرح الكبير لا تخفف من جاذبيته، وربما تزيد منها اذ تضفي عليه نوعاً من الغموض.
سحب سيكاراً طويلاً من جيبه وسألها ان كانت تنزعج من تدخينه.
أجابت بلا مبالاة:
«لا انزعج ان كنت انت لا تنزعج».
«لا اعتقد أنّ سيكاراً او اثنين في اليوم يضران في الصحة».
واشعل كبريتاً انعكس على وجهه فبدا قوي الملامح من النوع الذي لم تعرف مثله. ماذا قالت دورين؟ انه مزارع في منطقة نائية. اذا هذا ما يفسر تأثير اشعة الشمس على بشرته. وفكرت انه كمزارع لا يمكن ان يكون لعوباً وثرياً. ومع ذلك دعاه هاورد، اذن يجب ان يكون ثرياً.
بدأت بتردد:
«مزرعتك. . . هل تعتبر كبيرة؟».
«كبيرة جداً. فيها بضعة آلاف من الماشية».
«آه».
ولم تجد كوري غيرها تعبر عن دهشتها. لم تستطع ان تتصور آلاف الرؤوس من البقر في مزرعة. ووجدت انّ الامر لا يعنيها. نظرت الى

المدينة المضيئة من بعيد. وفكرت ان روجر هناك، ربما وحده في شقته اومع آنجي. وشعرت ان الدموع تكاد تظهر في عينيها فأدارت وجهها عن الرجل امامها. واذ به يقول:
«ان زوج شقيقتك اخبرني عن آخر تجربة قاسية مررت بها».
نظرت اليه منزعجة واذ به يضيف:
«اخبرني ايضاً انك معلمة».
«سوف اكون معلمة عندما تصل شهادتي خلال اسبوع».
وشعرت بارتياح لأنّ الحديث ابتعد عن الموضوع الاول ولم يدم ارتياحها عندما قال:
«من اجل هذين السببين جئت اليوم الى هنا. اعتقد انه يثيرك العرض الذي سأقدمه لك».
وفكرت بارتباك، ما الذي جعل هاورد يخبر هذا الغريب عن امورها الخاصة. وتملكها غضب فاجابت:
«عرض؟ اي عرض؟ لا اعتقد أنّ عرضاً منك سيثيرني يا سيد مايسون».
«أليس من اللائق ان تستمعي الى العرض قبل ان ترفضيه؟».
«ولكن اظن ان هاورد يريدني الآن في الحفلة في الداخل».
وحاولت ان تنهض فمسكها من ذراعها قائلاً:
«هاورد يعرف عن رغبتي في الاخذ من وقتك. هل تجلسين؟ ارجوك؟».
ولانه قال ارجوك، وبدت كأنها من الكلمات النادرة التي يتلفظ بها، تراجعت وعادت الى المقعد تستمع اليه.
قال:
«انا هنا في فانكوفر ابحث عن معلمة تستطيع ان تأتي معي الى مزرعة مايسون. تعلّم لفترة قصيرة جداً حتى آخر السنة الدراسية الحالية اي مدة ستة اسابيع».
وحملقت به كوري وقالت بغضب:
«ما الذي حملك انت وهاورد على الاعتقاد انني ارغب في الانتقال الى الادغال؟

حتى ولو لفترة قصيرة؟ ثم ما مزرعة مايسون هذه؟ هل اطلقت اسمك على بلدة؟».

اجاب متجاهلاً غضبها وسخريتها:

«مزرعة مايسون هي مزرعتي».

«وهل هي كبيرة جداً حتى يكون فيها مدرسة؟».

«ثمة اربعة عشر ولداً يتابعون الدراسة من ابناء المزارعين. وجدت انه من اللائق ان اجعل لهم مدرسة خاصة بهم على ان يتكبدوا مشقة الانتقال الى مدارس بعيدة، وذلك من اجل الحفاظ على الحياة العائلية في المزرعة. طبعاً ليس من السهل ان تحتفظ بمعلمة في مكان ناء مثل مدرستي وفيها اولاد من مختلف الاعمار. آخر معلمة تركت قبل اسبوع بسبب هذه العزلة واختلاف اعمار الاولاد».

«وما الذي يجعلك تعتقد اني ساجد هذه الاجواء ملائمة لي؟».

«لان التجربة تكون مفيدة لك كمعلمة مبتدئة، واضافة الى ذلك تساعدك على تجاوز المحنة القاسية التي تمرين فيها وذلك بواسطة تغيير الاجواء».

وتابع بهدوء متعمداً هزّها:

«ان الركوب على الحصان في منطقة خشنة تساعد على طرد كل الافكار من رأسك».

واشتعل غضبها من جديد لانه بدا واضحاً انه يشير الى خطوبتها الفاشلة.

فوقفت من جديد وقالت:

«لا اظن ان الركوب على الحصان سيفيدني في هذه الحالة. خصوصاً انني لم اركب حصاناً من قبل وليس عندي الرغبة في ذلك في المستقبل».

وقبل ان تمشي وقف هو الآخر وسد طريقها قائلاً:

«ارجو ان تفكري في الموضوع خلال الليل قبل الرفض النهائي. ان الامر مهم جداً لي».

«لماذا؟».

سألت بنبرة حادة، فاجاب:

«عندي ولد اريد ان انشئه. انه في الصف الابتدائي الاول واريده ان

يمضي السنة مع معلمة كفوءة».

رفعت رأسها نحوه وسألت:

«هل زوجتك تترك كل هذه الامور لتقريرك انت؟».

وعرفت الجواب سلفاً. طبعاً هو من النوع المتسلط وكيف يمكن لزوجة ان تقف في وجهه؟

واذ به يقول:

«انا لست متزوجاً. الولد هو ابن شقيقي المتوفي. وانا مسؤول عنه».

«آه»، علقت وهي تحاول ان تغير انطباعها قليلاً عن الرجل.

عازب يتولى مسؤولية تربية ابن شقيقه، ليس سيئاً جداً. فسألته:

«وماذا عن امه؟».

نظر الى البعيد وقال:

«انها تسافر كثيراً. ومن الافضل ان يكون للولد بيت ثابت».

لم تجد كوري شيئاً تسأله اكثر مما فعلت. استدارت قليلاً ونظرت الى البعيد مثل الرجل الواقف الى جانبها. وراحت تفكر: كيف تكون عليه الحياة في مزرعة نائية، حيث لا اصدقاء بل بقر وماشية؟ آلاف الاميال من الارض الحمراء في كل اتجاه. وشعرت برجفة برد. لاحظ الرجل رجفتها فقال:

«يجب ان تعودي الى الداخل، يبدو انك بردانة».

ووضع يده تحت ذراعها وسار معها سائلاً:

«هل تعطيني الجواب على العشاء مساء الغد؟».

وقفت قرب الباب وقالت:

«استطيع ان اعطيك جوابي الآن».

ولم ينتظر الجواب. بل قال:

«وهل تقبلين العشاء معي غداً؟».

هزّت كتفيها في لامبالاة وقالت:

«لن يختلف الجواب غداً عن الآن. في كل حال اذا كنت بحاجة الى رفيقة غداً...».

ولم تتمكن من متابعة الجملة اذ قاطعها قائلاً:

«لو كنت في حاجة الى رفيقة، لما كان عليّ النظر الى البعيد يا آنسة

ديفيس».

ورفع نظره الى حيث الفتاة الشقراء التي كانت متأبطة ذراعه عندما لاحظته كوري أول مرة.

ثم نظر الى كوري قائلاً:

«سوف امر عليك الساعة السابعة والنصف مساء الغد. هل ثمة مطعم خاص ترغبين الذهاب اليه؟».

اجابت في سرعة وغضب ومن دون تفكير اول اسم مطعم خطر على بالها:

«مطعم الشيطان!».

هزّ رأسه موافقاً. وتركها ودخل الى القاعة الكبرى نحو الفتاة الشقراء.

رافقته كوري بنظرها فقط وشعرت بثقته الشديدة في نفسه. وعوضاً عن ان تدخل الى القاعة الكبرى عادت الى الباحة الخارجية واستندت الى حائط الباحة وهي تشعر انّ البرد الذي اصابها ليس من الطقس بل من فكرة الذهاب الى مزرعة منعزلة. وفكرت انّ الامر لن يتجاوز ستة اسابيع. ونظرت الى البعيد الى المدينة الملأى بالانوار وفكرت بروجر. روجر الذي لم ينتظر حتى اكتمال سعادتها. وفكرت ان غيابها لبضعة اسابيع في بيئة مختلفة ربما يخفف من الجرح الذي اصابها... وربما يجعل روجر يفتقدها ويشتاق اليها.

٢ - لقاء في مطعم الشيطان

غريغ مايسون وصل الى بيت بيدج في السابعة والنصف تماماً من اليوم التالي. كوري فتحت الباب وارتاحت لأنه يرتدي ثياباً غير رسمية مثلها. كانت احتارت ماذا تلبس، فستان سهرة طويلاً او فستاناً عادياً؟ شيء في داخلها أبلغها ان غريغ سينزعج من امرأة بالسروال على موعد عشاء. وابتسمت لفكرة انها ذاهبة في عشاء عمل وليس في موعد رومانسي. تبدو الرومانسية بعيدة جداً عن المزارع القاسي. في كل حال عنده الشقراء تملأ رغباته الحسية.

تجولت عينا غريغ في فستان كوري الأخضر والصندل الأبيض وعادتا الى عينيها اللتين ازدادتا اخضراراً لانعكاس الفستان، والى شعرها التي الطويل على طرفي وجهها وكتفيها. ابتسم قليلاً وقال:

«تبدين جذابة جداً».

وتبعها الى غرفة الجلوس. نبرة صوته بدت وكأنها غير معتادة على كيل المديح للنساء. وكوري استدركت في حسها أن الرجل يعتبر مديحاً إن دعا فتاة الى العشاء. سألته:

«هل عندنا وقت لتناول الشراب قبل ان نذهب؟».

اجاب:

«لا بأس في تناوله بسرعة».

وحضر هاورد وزوجته دورين وتبادلوا السلام وقالت دورين:

«سررنا لرؤيتك ثانية يا سيد مايسون».

وبدت دورين سعيدة جداً. وقد فرحت عندما اخبرتها كوري على الفطور في الصباح ان المزارع الثري دعاها الى العشاء. ولكن خاب املها قليلاً عندما علمت ان الرجل يبحث عن معلمة وليس زوجة.

وتناول الأربعة الشراب وتبادل هاورد وغريغ بعض الحديث العام. ثم نظر الى كوري وقال:

«حجزت في مطعم الشيطان للعشاء في الثامنة».

فردت كوري:

«انا جاهزة ان كنت جاهزاً».

ونظرت اليه وهي تتساءل: ترى كيف سيقابل رفضها للعرض؟

قال لها:

«نستطيع ان نذهب الآن».

ونظر الى ذراعيها العاريتين وقال:

«تحتاجين الى كنزة. الطقس بارد في الخارج».

فأجابت:

«طبعاً، اني احتطت للأمر وكنزتي قرب الباب».

وسارا معاً حتى الباب ونظرت كوري الى الوراء لتلقي تحية المساء على دورين وهاورد فوجدت في عيني شقيقتها نظرات الاعجاب في الزوجين اللذين يمكن ان تشكلهما هي وغريغ. وحتى لو فكرت كوري بامكان نشوء علاقة رومانسية مع الرجل الطويل الأسمر القاسي الملامح، فإنه اسقط كل الاحتمالات في ما سبق أن قاله لها وفي تصرفه العملي غير الحميم في

وضع يده تحت ذراعها ليوصلها حتى سيارته.

وفتحت عينيها بدهشة وهي تنظر الى السيارة «السبور» الفضية ذات المحرك السريع. وسألت:

«هل هذه سيارتك؟».

«ولماذا تسألين؟».

قال وهو يدير محرك السيارة وينطلق بها.

اجابت:

«ربما لأنني اعتقدت انك قد تشتري سيارة تلائم طبعك المتحفظ التقليدي».

ابتسم وقال:

«ربما اعتقادك في محله لو كنت احتاج الى سيارة. ولكن لسوء الحظ في المزرعة لا احتاج اليها. اذ ليس هناك طرقات للسيارات. وهذه السيارة استأجرتها».

فوجئت كوري وسألته:

«وماذا تستعمل للانتقال في المزرعة؟».

«ذوات الأرجل الأربع في اكثر الأحيان»

وبدا مسروراً للحوار. واضاف:

«اما اذا احتجنا للانتقال الى العالم الخارجي، فهناك ساحة للطائرات الصغيرة الخاصة تفي بالمطلوب».

ومع توقف قليل امام اشارة حمراء، قال لها:

«انا مسرور لأنك اخترت مطعماً للمأكولات البحرية. فأنا آكل منها ما استطعت عندما اكون في فانكوفر. فذلك تغيير عن لحوم البقر في المزرعة».

واخذها التفكير بعيداً. هل يمكن ان تتحمل، حتى لبضعة اسابيع، العزلة الكاملة التي اوحى بها كلامه؟ ورفضت ان تقبل فكرة غياب سيارة من اي مكان يمكن ان يقودها المرء في اي وقت يشاء. وحدقت في يديه القاسيتين على المقود وفكرت انه ربما يكون ايضاً قائد الطائرة التي يستعملها للانتقال من المزرعة الى الحضارة وتساءلت: أليست هي بحاجة ماسة الى تغيير الأجواء والانتقال الى مكان منعزل يساعدها على لعق جراحها؟ وفكرت ان مزرعة مايسون لن يكون فيها شيء يشغلها غير تعليم الأولاد

الأربعة عشر.

أمام المطعم اوقف غريغ مايسون سيارته ودخل وكوري القاعة ليجلسا على طاولة مطلة على المحيط حيث بواخر ضخمة تملأ بضائعها للابحار الى اليابان. وشعرت بالذنب لأنها اختارت مكاناً كان لها ولورجر المطعم المفضل. وانهما جلسا الى طاولة لا تبعد كثيراً عن تلك التي كانت تجلس اليها مع روجر.

«هل ترغبين في سمك معين، ام تقبلين صحناً من المأكولات البحرية المتنوعة؟».

سألها وفي يده لائحة الطعام.

«آه، القليل من كل شيء».

أجابت من دون شديد انتباه. وشعرت انه طلب شراباً غالي الثمن وفكرت في الأيام التي قضتها مع روجر الذي كان يطلب شراباً رخيصاً ومع ذلك تجد في فقره كرماً وجمالاً.

«آسفة، ماذا قلت؟».

سألت وهي تسحب نظرها وفكرها من البحر الممتد امامها عندما لاحظت ان غريغ قال شيئاً لم تفهمه.

«سألتك ان قررت شيئاً بالنسبة للعرض الذي قدمته لك؟».

وشعرت بالقليل من غياب الصبر في كلامه. وهمت ان تجيب ولكن الخادم في المطعم وصل ومعه الشراب المطلوب. وانتظرت قليلاً حتى ابتعد الخادم وقالت:

«نعم، سأقبل عرضك يا سيد مايسون. اعتقد ان الابتعاد عن المدينة بضعة اسابيع سيلائمني كثيراً».

لم يكن لكلامها رد فعل مباشر عليه. وجدته صامتاً ويحدق في الصحن الفارغ ويلعب بالشوكة امامه. واعتقدت لوهلة انه لم يسمعها. ولكنه ما لبث ان نظر اليها وسألها:

«هل تقبلين البقاء في المزرعة لمدة اطول من الاسابيع الستة، وفي مهمة تختلف عن تلك التي عرضتها عليك؟».

حدقت فيه باستغراب غير الفاهم. قالت:

«مدة اطول؟ مهمة مختلفة؟ كم اسبوعاً تعني؟ وما هي المهمة؟».

«لمدة لا تزيد عن الستة اشهر».

واضاف بهدوء:

«على ان تكوني خلال المدة زوجتي».

«لا بد انك مجنون».

تمتمت كوري وهي تشعر باضطراب في داخلها.

«نحن بالكاد نعرف بعضنا، وليس من عاطفة بيننا و...».

قاطعها قائلاً ببرود:

«هذا افضل لكلينا. اذ لا مضاعفات تنتج عندما تنتهي الاتفاقية».

«ولكن لماذا؟ ان كنت تحتاج الى زوجة بهذا الالحاح، لا بد ان هناك العشرات من النساء...».

وقاطعها ايضاً:

«شكراً، ولكن ليس هناك الكثيرات مثلما تعتقدين. واللواتي اعرفهن سيجلبن التعقيدات والمضاعفات التي سبق أن ذكرتها. ولكن بيني وبينك لن تكون ثمة روابط عاطفية و...».

توقفت عن متابعة حديثه عندما اقترب منها الخادم وراح يصب المأكولات البحرية السخية بمختلف الانواع الشهية الغالية. ولكن كوري لم تجذبها المأكولات اذ ابتعد فكرها الى ما يرغبه فعلاً الرجل الذي امامها. وما ان ابتعد الخادم حتى تابع الحديث:

«سيكون الاتفاق عملياً بحتاً، سهلاً ونقياً. انا اريد امرأة تلعب دور زوجتي لبضعة اشهر، وانت تريدين تغيير الأجواء لتتغلبي على مشاكلك الشخصية».

«ولماذا تحتاج الى زوجة لبضعة اسابيع؟».

«لأن زوجة شقيقي تريد ان تتقدم بدعوى حضانة الصبي في ايلول المقبل بحجة اني لا استطيع ان اؤمن حياة عائلية طبيعية لابن شقيقي».

«ولكنها احق بالصبي لأنها امه ولأنها تستطيع ان تؤمن له...».

قاطعها بعصبية:

«لا تستطيع ان تؤمن له شيئاً هي تسافر حول العالم باستمرار. لا تستقر في مكان واحد اكثر من اسبوع. هل هذه حياة عائلية طبيعية لولد صغير؟».

«ولماذا تسافر كثيراً؟ الا تريد ان تؤمن بيتاً لابنها؟».

«ماريزا موهوبة جداً، انها. . .».

قاطعته كوري بحماس:

«هل تكون ماريزا مايسون عازفة البيانو؟» وهي تتذكر انها شاهدتها تعزف في فانكوفر الصيف الماضي.

«نعم. هل سمعتها تعزف؟».

«عدة مرات. انا وروجر. . .».

وعضت شفتيها وتوقفت عن متابعة كلامها وفكرت انها اذا كانت تسعى ان تنسى روجر عليها ان تتوقف عن ذكر اسمه في اي موضوع. هو تابع من دون ان يعلق على كلامها.

«اذن تفهمين لماذا لا تستطيع ان تؤمن بيتاً مستقراً لابنها، ولماذا لا اريد لابن شقيقي ان يعيش حياة غير مستقرة؟ اعتقد ان المحكمة ستأخذ بوجهة نظري ان كان عندي زوجة».

«وزوجة لمدة ستة اشهر؟».

وأقر به يجيب:

«استطيع طبعاً ان اربي بوبي من دون مساعدة زوجة. ولكن المحكمة هي التي تعتقد ان هناك حاجة الى لمسات امرأة في تربية الصبي».

ونظر الى صحنه والمأكولات امامه وقال:

«لننسَ الموضوع قليلاً ونأكل قبل ان يبرد الأكل».

واستغربت من قدرته على طرد الافكار مهما كانت مقلقة من رأسه وتناول الطعام بشهية. هي شعرت ان كل لقمة تبلعها تنزل مثل حجر في حلقها. وراحت بها الأفكار بعيداً. الزواج؟ من رجل لم يمضِ على معرفتها به يومان؟ زواج مصلحة، والعلاقة التي يطلبها منها، ليست الا علاقة سخيفة بالتة.

مصلحة غريغ في ان تكون ستار زوجة تسهل له حضانة الصبي، ومصلحتها هي في الابتعاد قدر الامكان عن روجر. هل تريد ذلك فعلاً؟ رفعت رأسها الى الرجل المنكب على الصحن امامه. كلا، ان تلعب كمعلمة لبضعة اسابيع شيء مختلف تماماً عن لعب دور الزوجة. روجر لن يصدق ان رجلاً وامرأة يمكن ان يعيشا معاً من دون ان يعيشا معاً بكل ما

تعنيه الكلمة من معنى. هل هذا ما عناه غريغ؟ رفع عينيه نحوها فجأة فاحمرت وجنتاها. وقالت:

«لن يكون الزواج حقيقياً اليس كذلك؟».

«لا تخافي. ستكونين نقية خلال ارتباطنا مثلما انت الآن. ان هدفي واضح وانت تعرفينه».

واذ بنظرها يشغله دخول شخصين ليسا غريبين عنها. روجر ترافقه آنجي، اختارا الطاولة التي كانت كوري تعتقد انها تخصها وحدهما، هي وروجر. وشعرت بألم الجرح في قلبها عندما لاحظت رأس روجر ينحني قريباً من رأس آنجي. اذن علاقتهما ليست شكلية. انهما اعطيا الدليل الكافي لعلاقتهما الغرامية الوثيقة. ايديهما تلتحمان فوق شرشف الطاولة الأبيض.

حدقت كوري بغريغ وقالت بعينين قاسيتين:

«حسناً يا سيد مايسون. سأكون زوجتك المؤقتة».

ولم يبدُ على وجهه الاستغراب. بل قال بهدوء:

«حسناً. اعتقد ان علينا كزوج وزوجة ان نتنادى بعضنا بالأسم الأول من دون سيد مايسون وآنسة ديفيس أليس كذلك يا كوري؟».

وابعدت كوري نظرها عن اللذين يجتذبانها في الطاولة المجاورة وقالت:

«ماذا؟ آه نعم. اعتقد ذلك. ولكن اعتقد ايضاً ان الآخرين سيستغربون تسرعنا بالزواج ونحن بالكاد نعرف بعضنا».

هز كتفيه قليلا وقال:

«نستطيع ان نتأخر نحو الاسبوع قبل ان نخبر احداً عن مشاريعنا. الكل يعرف ان لا وقت للمزارع في الرومانسية قبل الزواج».

«دورين سترى الأمر غريباً».

«ولكن في حوار بيننا شعرت انها لا تعترض اطلاقاً على ان اصبح صهرها».

اذاً لقد قامت أختها بدور اصطياد زوج لها.

تابع كلامه قائلاً:

«في كل حال، لكل خدمة ثمنها».

ورفع يده ينادي الخادم من اجل قهوة. وظلت هي تحدق فيه وقالت:

«المال لا يعني لي شيئاً يا سيد مايسون. انا...».

«غريغ»، قال لها مذكراً. واضاف:

«انا اصدقك. ولكن لا اعتقد انه من الملائم ان تقدمي لي خدمة مقابل لا شيء. انا ثري واستطيع ان ادفع...».

«ارجو ان لا نتكلم عن هذا الجانب الآن يا سيد... يا غريغ».

وفيما هما يشربان القهوة وغريغ يدخن سيكاراً. راح يعرض لها خططه للاسبوع المقبل. ولكن كوري كانت تسمع القليل، وعيناها تنظران الى روجر يحيط بآنجي. واخيراً وفيما هي وغريغ يقومان من طاولتهما ويمشيان معاً للخروج ناداها صوت كم كان حبيبا بالنسبة اليها:

«كوري».

التفتت ورأت روجر واقفاً وفي عينيه بريق اللهفة. قالت بلا شديد اكتراث:

«آه، اهلاً روجر، وانت كذلك آنجي لم الاحظكما».

سألها روجر هامساً بشديد اهتمام:

«اتصلت بك مراراً، هل بلغك ذلك؟».

تأبطت ذراع غريغ وقالت بادعاء:

«آه، كلا كنت مشغولة جداً».

وقدمت غريغ الى روجر. وشعرت انها سعيدة بتقديم غريغ لانه من الاشخاص الذين تفتخر بمرافقتهم اي امرأة. آنجي حدقت بعينيها السوداوين. واحتارت كوري ان كانت نظرة آنجي تعني تقديراً لها لانها تمكنت من استبدال روجر بسرعة ام اعجاباً بغريغ.

وقال غريغ بهدوء وهو يحيط ظهرها بذراعه:

«لنذهب يا كوري. يبدو اننا سددنا الطريق على آخرين يريدون ان يمروا».

ابتسمت كوري لروجر وآنجي وسارت لتخلي الطريق لخادم مع طبق مأكولات وما اذ ابتعدا قليلاً حتى امتلأت عينا كوري بالدموع.

وفي السيارة قال غريغ:

«هل كان ذلك خطيبك السابق والمرأة التي استبدلك بها؟».

نظرت اليه بعينين تسبحان بالدموع وهزت رأسها بالايجاب. احاط ذراعه كتفيها وقال:

«وجدت في قولك لها انك لم تلاحظيهما، شجاعة وقدرة على الخداع. لقد اعجبتني جداً. هكذا يمكنك ان تقومي بالدور الذي اطلب منك تمثيله بشطارة ابعد مما كنت اعتقد».

«وكيف عرفت اني كنت اكذب؟».

«من عينيك اللتين لم تخفيا تأثرهما. ومن عدم تركيزك على الكلام الذي كنت اقوله».

وخيم الصمت عليهما فيما راح غريغ يقود السيارة ويبتعد. واخيراً قالت:

«آسفة لتصرفي، لم اتوقع ان التقيهما هناك الليلة».

«لم تتوقعي؟ انا شعرت انك جئت في الماضي الى المطعم والارجح مع روجر، وانك اخترته للقائنا الليلة على امل ان تري روجر هناك او ان تغرقي في الذكريات».

استدارت برأسها نحوه في سرعة أعادت شعرها الى الوراء. وحدقت في وجهه القاسي الذي تنعكس عليه اضواء الطريق وهو يقود السيارة. وجدت ان عليها ان تقول شيئاً، ان توضح بعض الامور. ومع ان عينيها ممتلئتان بالدمع قالت:

«لم اعتقد ان روجر قد يكون...».

ولكنها لم تستطع ان تكمل اذ شعرت بغصة في حلقها. واذ بغريغ يغرق في ضحك لئيم ويقول:

«انت رومانسية ملتزمة. لانك تعتقدين ان رجلك سيعامل الفراغ الذي خلفته مثل معبد مقدس لا يملأه احد غيرك مثلما انت تعاملين الفراغ الذي يخلفه هو».

ولاحظت انه لم يقد السيارة في الطريق التي تؤدي الى بيت شقيقتها بل قادها باتجاه حديقة عامة كبيرة تلائم جداً المحبين وليس امثالها هي وغريغ. واوقف السيارة امام منظر طبيعي تحت نور القمر. ولكن شيئاً من الأجواء الرومانسية لم ينعكس على كوري. بل التفت الى غريغ وقالت

بغضب.

«انت لا تعرف روجر، وبأي حق تحكم عليه؟».

استمر غريغ في التحديق بشعاع القمر المنعكس على بحيرة صغيرة وقال:

«مراقب حيادي يستطيع ان يحكم على الاشياء اكثر من شخص مرتبط. روجر بدا لي من النوع الذي يرغب في قطعة الكعك ليس للفرجة بل للأكل. وصديقته من النوع المناسب اكثر منك».

ومع انه كان دقيقاً في ملاحظته خصوصاً فيما يتعلق بآنجي ولكن كوري لم تمالك نفسها من الغضب. قالت:

«ان آنجي لم تفعل شيئاً يختلف عما كنت انوي ان افعله ولكن...».

«ولكنها سبقتك. اليس كذلك؟ الا يعني هذا لك شيئاً عن شخصية الرجل؟».

حدقت فيه، وفي عظمة فكه القاسية واجابت بلؤم:

«نعم، يعني لي ان للرجل مشاعر طبيعية. مشاعر لا تفهم انت عنها شيئاً يا سيد مابسون».

ومرت فترة صمت لم تتجرأ فيها كوري ان تبتعد بنظرها عن المنظر الطبيعي امامها. واخيراً قال:

«ان التحكم بالرغبات لا يعني ضعفاً يا آنسة ديفيس. ولا تتوهمي انني باختيارك زوجة مع وقف التنفيذ، لا انجذب الى امرأة جميلة. ولكن في قضيتي الشخصية وفي هذه المرحلة من حياتي بالذات لا رغبة عندي في تعقيد الأمور بواسطة المضاعفات العاطفية التي ينتجها الزواج الطبيعي. في نهاية الستة اشهر تكونين حرة في الانسحاب من دون تعقيدات. وبالنتيجة ساحصل على ما اريد، وانت ستتخلين عن شجون قلبك».

واضاف وهو ينظر اليها:

«وبالمناسبة، آمل ان تجعلي دموعك للوسادة فقط. لان من المفترض ان تكون العروس سعيدة بزواجها ومبتسمة، ولا تلعق جراحها على حبيب ضائع».

امتعاض كوري ضاع مع صوت المحرك الذي اداره غريغ وانطلق بالسيارة الى الطريق الرئيسية. كيف يمكن ان تقبل بالزواج من رجل قاس

مثله، وان تنعزل في مزرعة لا رفيق لها غيره؟ لم تتكلم حتى وصلا امام بيت شقيقتها حيث اطفأ غريغ المحرك.

«انا آسفة يا سيد مابسون. غيرت رأيي. لا استطيع ان اقوم بدور مخادع كالذي تعرضه. اضافة الى ذلك لا استطيع ان اوهم دورين وهاورد واهلي اني اعيش علاقة طبيعية».

واذ به يجيب ببرودة:

«اني لا اعرض علاقة هامشية بل زواجاً. هل سيكون اهلك اسعد لو تزوجت خطيبك السابق؟».

«ارجوك دع خطيبي السابق جانباً عمري ٢٢ سنة، واكثر الفتيات في عمري هن...».

«ولكنك لست مثل اكثر الفتيات. انت نشأت تحلمين بثوب زفاف ابيض يعني النقاء تماماً قبل الزواج. ان بعض الرجال سيكونون سعداء جداً بذلك».

«حقاً؟ وبعد ان اكون تزوجتك مدة ستة اشهر؟».

«الزواج سيكون باطلاً على اساس غياب العلاقة الزوجية. وانت لن تخسري كثيراً في الستة اشهر. فأنت ما زلت صغيرة وستستفيدين من الوقت لتصبحي حكيمة في اختيار الرجال اكثر مما انت عليه الآن».

«قد استطيع في الستة اشهر ان استرجع روجر».

«طبعاً تستطيعين، ان كان ذلك هو ما ترغبين. انك ستكونين زوجة مناسبة جداً لمحام ناشئ، يمكن ان يستفيد من معارف صهرك الثري».

ونظرت اليه كوري بحقد وقالت:

«كلما سمعت ما تقول ازددت كرهاً لك يا سيد مابسون».

«انا لست هنا لاربح شعبية بل لاربح دعوى حضانة ابن شقيقي».

«حسناً، لا تعتمد علي في مساعدتك».

قالت ذلك وهي تنزل من السيارة وتغلق الباب خلفها بشدة.

نزل من سيارته وقال لها:

«اعتقد انك ستساعديني ان فكرت بالأمر قليلاً. سآتي لآخذك مساء الغد في الوقت ذاته الذي جئت فيه الليلة لاسمع جوابك. وهذه المرة

«سأختار انا المطعم المناسب».
واضاف:
«البسي فستاناً يلائم السهرة»

٣ - سرير الحبيبة

الساعة السابعة والربع من مساء اليوم التالي كانت كوري جاهزة في ثياب السهرة على الرغم من غضبها من غريغ مايسون وتصميمها على عدم الذهاب.

هاورد ودورين ذهبا الى عشاء مؤتمر للمصرفيين. قبل ان يغادرا البيت نظرت دورين الى شقيقتها نظرة معبرة لم تكن كوري بحاجة الى تفسيرها. ان دعوة غريغ مايسون شقيقتها الى العشاء لليوم الثاني على التوالي له مغزاه المهم. وحتى لو اعلنت الخطوبة والزواج في اليوم الثالث فلن تفاجأ دورين.

وحدها في المكتبة انتظرت كوري وشعرت انها متوترة. الرجل يثير حنقها ومع ذلك تنتظره، كما انها مستعدة للعشاء معه. هل هو غريغ الذي

يزعجها؟ او روجر الذي التقته قبل ساعات قليلة؟ حضر اليها وجلسا معاً وحدهما في غرفة المكتبة يتبادلان الحديث بسلام، او هل يمكن اطلاق كلمة سلام على عباراتها الغاضبة؟

قال لها بوجه ناعس وصوت متهدج ان آنجي لا تعني له شيئاً وان كوري وحدها هي التي يرغب في الزواج منها،

«لا اجد تفسيراً لما حدث مع... آنجي، افقدني صوابي النقاش الذي دار بيننا الاسبوع الذي سبق مجيئك الي في البيت. انها اشياء تحصل من دون ان تجد لها تفسيراً لأنها لا تعني شيئاً. اقسم لك يا كوري اني احبك انت».

«وماذا عن لقائكما في مطعم الشيطان وتلامس الأيدي والرأسين، على طاولتنا المفضلة نحن، هل ذلك ايضاً لا يعني شيئاً؟».

ازداد شحوبه وهو يقول:

«آنجي اقترحت ان نذهب الى هناك. ولم اجد شيئاً يمنعني من الذهاب. كوري ارجوك، حاولت مراراً ان اتصل بك بالهاتف ولكنك رفضت الرد على مكالماتي. فاعتقدت ان الامر فعلاً انتهى بيننا و...».

«وكانت آنجي متفرغة لك اليس كذلك؟».

وتابعت متعمدة ايذاءه:

«في كل حال، كل شيء انتهى بيننا فعلاً. وانا سعيدة لأني عرفت مسبقاً كيف كانت ستكون حياتنا الزوجية. عند اول اشارة سوء تفاهم بيننا تذهب الى اول امرأة تصادفها».

وتابعت وهي تضغط على شفتيها من اجل ان تمنع الدموع من ان تنهمر.

«وهكذا تعرف انك لن تستطيع الاعتماد على هاورد من اجل مساعدتك في تقدمك المهني».

كانت تريد ان تسمع روجر ينفي تأثير هاورد في العلاقة بينهما وكذلك غياب المصلحة في التقرب منه لمساعدته على التعرف الى كبار المحامين في البلد. واذ به يقول:

«اعتقد انك ستفعلين الآن المستحيل من اجل عرقلة اي مساعدة يمكن ان اجدها من احد. صدق من قال ان كيدهن عظيم. هذا ما تحضرينه لي

اليس كذلك؟».

«كلا يا روجر. ليس صحيحاً».

وتابعت وهي تستمر في الضغط على حلقها لتمنع نفسها من ان تجهش في البكاء،

«لقد التقيت شخصاً آخر، رجلاً يمكن ان...».

«لا شك انه الرجل الذي كنت معه مساء امس. في كل حال من شكله بدا انه لن يسرع في شراء المحابس قبل ان يطرح عضلك جانباً».

وانفجر ضاحكاً وهو يضيف:

«يبدو انه لا يعرف بعد انه يضيع وقته سدى».

واذ بيد كوري ترتفع وتصفعه في عنف فاجأها هي مثلما فاجأ روجر. وللفور غادر روجر المكان بعاصفة من اغلاق الأبواب.

الآن وهي تنتظر غريغ، تأكدت ان لا اثر للدموع في وجهها. تلك الدموع التي انهمرت بحرارة طيلة بعد الظهر. بدت عيناها حزينتين ولكن لا تخفيان عمقاً كبيراً. وصممت على نسيان روجر والغائه من فكرها، وان استطاعت، من قلبها. هو كان لفترة طويلة نقطة الارتكاز في حياتها الشخصية والرجل الذي توقعت ان تمضي بقية حياتها معه.

الزواج من غريغ مايسون والسكن في بيئة مختلفة تماماً سيساعدانها على النسيان. ولكن ماذا عن الأيام والليالي الطويلة؟ الن تكون مملة وتضعها تحت رحمة الذكريات؟ ذكرى وجه روجر الضاحك، والبريق في عينيه الزرقاوين. تشعر انها حمقاء لأنها تخلت عنه، ولم تستسلم لالحاحه لو فعلت لكانت الآن اسعد انسانة على الأرض عوضاً عن ان تكون زوجة لرجل غريب.

جرس الباب اعادها الى الواقع. الساعة السابعة والنصف تماماً. انه غريغ مايسون الذي تستطيع ان تعتمد على دقته في المواعيد.

«هل انت مرتاحة؟».

التفتت كوري الى عريسها داخل الطائرة الصغيرة الخاصة وهزت رأسها بالايجاب. وارتاحت لصوت المحرك الذي يجعل الحوارات قصيرة مع غريغ. شعرت بألم في رأسها، ولم تعرف ان كان السبب ضجيج المحرك الطيران او تحمل الضغط الذي مرت به في حفلة الزواج التي اصرت

شقيقتها ان تجعلها حفلة كبيرة. ونظرت الى الذي بات زوجها وانعكاس زرقة السماء عليه. خطوط وجهه حول الفم والعينين ازدادت عمقاً. ربما من الضغط الذي تكبده خلال حفلة العرس. تصرف بلباقة وكأنه سيد الظروف الاستثنائية. حتى عقب مراسيم الزفاف اقترب من وجهها وقبلها امام الجميع وكأنه راغب بها منذ زمن بعيد.

الآن، تراه يفكر مثلها؟ كم حلمت بالزواج من شخص يختلف تماماً عن ذلك الذي يجلس الى جانبها. تزوجها من اجل مصلحة، للاحتفاظ في عهدته بابن شقيقه الراحل. ولد سوف تلتقي به خلال وقت قليل. كيف تراه سيستقبلها هو وبقية مجتمع مزرعة مايسون؟

من الاسئلة القليلة التي سألت غريغ عن المزرعة فهمت ان في البيت مدبرة تدعى ايلين انغليش، من الهنود الاميركيين الاصليين.

وحتى تساؤلات دورين وقلقها على شقيقتها الصغرى من احتمال غياب وسائل الراحة لم تلغ معرفتها الأكيدة بثراء المزارع. غريغ قال لدورين بهدوء «انت وهاورد ارجو ان تزورانا في الصيف». ولكن ذلك لم يمنع استمرار قلقها على شقيقتها اذ قالت لها على انفراد:

«كوري، تذكري دائماً اذا وجدت الحياة هناك لا تحتمل ان تتصلي بنا فوراً».

وكادت عينا كوري تغرورقان بالدموع وهي تراجع في فكرها وداعها العاطفي لشقيقتها وصهرها. وكلام شقيقتها لها.

«ان والدينا البعيدين لم يتمكنا من المجيء للعرس بسبب المرض الذي يقعد الوالد. وانا وهاورد نشعر بمسؤوليتنا نحوك. لا نريدك ابداً ان تكوني غير سعيدة في اي شكل من الاشكال».

ابتسمت كوري لغريغ وهو يلتفت اليها ويقول بحماس مكبوت:

«نحن الآن نقترب من المزرعة».

ثم بفخر واعتزاز دل باصبعه وقال:

«هذه مزرعة مايسون».

ولاحظت كوري وهما يدنوان من الأرض ان المزرعة تحوي اراضي زراعية شاسعة وبيوتاً عدة متوازية، وخضرة شديدة على ضفتي نهر طويل يخترق الأراضي مثل حية لا راس لها.

وبعدما حط غريغ بالطائرة ساعد كوري على النزول واحاط خاصرتها بذراعه قائلاً:

«اهلاً بك في مزرعة مايسون».

واقترب منهما شاب يبدو اصغر من غريغ وفي وجهه البرونزي ابتسامة مرحبة. مد يده مرحباً بغريغ وقال:

«اشتقنا لك يا غريغ».

ثم التفت الى كوري وفي عينيه نظرات توقع واعجاب فقال غريغ:

«كوري، انه هانك ايفرسون، رئيس العمال في المزرعة. هانك، انها زوجتي كوري».

«تشرفت بالتعرف اليك يا سيدة كوري. كنا كلنا هنا نتساءل عن شكل السيدة مايسون. ويبدو انك تجاوزت كل توقعاتنا».

«شكراً» ردت كوري بخجل.

وقال غريغ:

«كلكم ستلتقون بكوري في شكل رسمي غداً. اما الآن فهي متعبة وتحتاج الى راحة».

ونظرت كوري الى غريغ وشعرت ان تفهمه لتعبها لم يكن الأساس في اهتمامه، وعليه ان يبعدها قدر الامكان عن عمال المزرعة ونسائهم الى ان تصبح قادرة على لعب دور زوجة المعلم باتقان.

ابدى هانك اهتمامه براحة كوري وقال:

«سيارة اللاند روفر متوقفة هناك. سأحضر حقائبكم واقود السيارة بكما حتى البيت».

فقال غريغ:

«كلا، انا سأقود السيارة وسأنزلك على الطريق».

وافق هانك وهو ينزل الحقائب والأغراض من الطائرة قائلاً:

«طبعاً يا غريغ، لا بد انك تريد ان تتجول مع زوجتك وحدكما».

في اللاندروفر اجلس غريغ زوجته في المقعد الأمامي وجلس هو خلف المقود. ووضع هانك الحقائب والأغراض في المقعد الخلفي وقال انه سيضع الطائرة في المرآب، وسيعود الى بيته سيراً على الأقدام.

اعترضت كوري على ذلك قائلة:

«يبدو ان الطريق بعيدة وكيف يمكنك ان تسير هكذا».

فقال غريغ:

«ان الطريق تبدو بعيدة بالنسبة اليك يا ابنة المدينة نحن معتادون على المسافات».

وحياهم هانك وابتعد صوب الطائرة ضاحكاً. ادار غريغ المحرك وقاد السيارة. فالتفتت اليه كوري قائلة:

«لم يكن من اللائق ان تدعه يسير كل هذه المسافة».

«هانك لا يبالي. لماذا انت تبالين؟».

«كان لطيفاً جداً في استقبالنا. على الأقل كنا نستطيع ان...».

«انا ادفع له ليقوم بهذه الاشغال».

وازعجتها اجابته. لا بد انه لم يشجع هانك على المجيء معهما لأنه لم يبق بعد تماماً من نجاح كوري في دور الزوجة. وتساءلت على تراه يفكر في ان يسجنها داخل البيت الكبير الذي بدا انهما يقتربان منه؟

عن بعد اعجبت كوري بهندسة البيت. انه حديث الطراز ومحاط بالواح زجاج كبيرة وجوانب خشبية متناسقة، ومؤلف من طبقتين.

قالت معلقة على سيارة اللاندروفر:

«ظننت انك قلت لي انه لا توجد في المزرعة سيارات».

«اظن اني قلت ان اكثر تنقلاتنا تتم على قوات الأرجل الاربعة، لا كلها. نستعمل اللاندروفر لتنقلات السهل».

السهل؟ اي سهل؟ تساءلت في نفسها وهي تشعر بالوخزات في ظهرها واسفلها نتيجة وعورة الطريق تحت عجلات اللاندروفر. ومع ذلك سألته:

«كيف احضرت السيارة ان لم يكن في المنطقة طرقات؟ وكيف احضرت كل ملتزمات البيت الكبير وبيوت المزرعة؟».

«ما لا يمكن احضاره بالسيارة يمكن احضاره بالطائرة او بواسطة النهر الى نقطة قريبة من الجسر. ومن هناك ننقل البضائع على عربات. وكما تشاهدين قمنا برحلات عدة لبناء هذه البيوت».

«اجل، يبدو ذلك واضحاً».

التفتت اليه ووجدته يبتسم ويقول:

«انا لم ارغب ان تأخذي فكرة خاطئة عن المكان. انه على كل حال ابعد

بكثير من المستوى الذي تعودت عليه».

حدقت فيه وهي تفكر لأول مرة كم تجهل عنه اشياء كثيرة وكيف يمكن ان تعرفها جيداً خلال فترة تعارف قصيرة جداً؟ هو لم يسألها وهي لم تخبره ان نشأتها كانت في بيئة بعيدة جداً عن الثراء الموجود في بيت هاورد حيث سكنت قبل سنة عندما تقاعد والداها وابتعدا. ولكن الآن ليس الوقت المناسب لاخباره. واعادت نظرها الى البيت الكبير على التلة.

فكرت كيف يمكن ان تخدع اشخاصاً يعرفون غريغ جيداً؟ سهل ان تضلل عائلتها واصدقاءها بزواجها وتغادرهم في سرعة، ولكن السكن لأشهر في بيت واحد مع الزوج على مرأى من ابن شقيقه وموظفيه، امر مختلف تماماً.

ابدت اعجابها الشديد بالمنظر الممتد امامها وهما يرتفعان على التلة، اذ بدا السهل واسعاً وبيوت المزرعة موزعة في الاسفل. وفهمت لماذا بنى غريغ منزله على التلة، من اجل ان يكون سيد المزرعة عن حق حيث يراقب الجميع من علو. ومع انه كان غير متهاون في الاجابة على الاسئلة التي تتعلق بحياته الشخصية، ولكن خلال الاسابيع الثلاثة التي عرفته فيها، فهمت ان شخصيته تتلخص بحبه للتملك. مثلاً يفعل الآن، يذهب بعيداً حتى الزواج من امرأة لا تعني له شيئاً، من اجل الاحتفاظ بابن شقيقه. ترى الى اي مدى يذهب ليحتفظ بالمرأة التي يحب الى جانبه؟ وغرقت في افكارها.

اعادها صوت غريغ الى الواقع قائلاً:

«ها نحن وصلنا الى البيت».

وبدا البيت اكثر جاذبية عن قرب. وفتح الباب الرئيسي وخرجت امرأة هندية في نحو الثلاثين من العمر، وهي تبتسم لغريغ بترحيب. ثم تلتفت الى كوري فتزداد ابتسامتها وترحيبها حرارة.

«هذه ايلين انغليش، يا كوري. انها تعتني بكل ما يلزمني منذ زمن بعيد».

«كيف حالك يا ايلين»، قالت كوري وهي تبتسم وتمد لها يدها، فتمد المديرة يديها الاثنتين لتشد على يد معلمتها الجديدة بحرارة وتقول:

«حان الوقت ليتزوج المعلم الآن ستملأن الغرف الفارغة في البيت

بالصبيان الذين سيتولون شؤون المزرعة».
شعرت كوري بأن وجهها امتقع خجلاً ونظرت الى غريغ لترى تأثير كلام ايلين عليه فاذا به يبتسم ويحيط كوري بذراعه ويقول لايلين:
«نحتاج اولاً ان نكون وحدنا انا وكوري اولاً لكي نستطيع ان نبدأ بملء البيت بالأولاد اليس كذلك؟».
واذ به يتذكر شيئاً ويسأل ايلين:
«اين بوبي؟».
«صعد الى غرفته. اعتقد انه خجول قليلاً».
«خجول؟ كيف يكون ذلك».
وتأبط ذراع كوري ودخل الى البيت وفي وجهه علامات تصميم فقالت كوري:
«لا تستعجله يا غريغ. دعه يأتي في الوقت الذي يختاره. ان زواجنا لا بد اثر فيه».
نظر اليها غريغ بعينيه السوداوين وقال:
«ربما انت على حق. سأريك البيت اولاً ثم بعدما ترتاحين، سيكون لي بضع كلمات مع بوبي».
سار غريغ في البيت وهو يمسك ذراع كوري في اتجاه غرفة الجلوس. قاعة كبرى ناعمة الزخرفة. واشار الى غرفة طعام كبيرة مرا بجانبها. فيها طاولة مستديرة مزينة بالنقوش نظرت اليها كوري باعجاب. وكذلك الى جدرانيات زجاجية وواجهة تطل على بركة سباحة كبيرة تلمع تحت شمس الغروب.
«بركة سباحة؟» قالت كوري بفرح وهي تنظر الى غريغ ثم تعود بنظرها الى زرقة البركة المغرية.
«هل تحبين السباحة؟» سألها وقد سره اعجابها بالبركة.
«انا مغرمة بالسباحة» اجابت بحماس لم تعرفه منذ وقت بعيد.
«نحن لسنا شعباً غير متمدن مثلما يعتقد بعضكم من ابناء المدينة».
وتابع وهو يقترب منها حيث تقدمت تنظر الى البركة عن قرب:
«البحيرة بعيدة جداً من هنا، والنهر بارد جداً ولا يلائم للسباحة. لذلك جعلت بركة خاصة بنا».

«انا سعيدة لأنك فعلت. هذا شيء واحد سأتمتع به هنا».
وراته متعضاً. سألها:
«هل هذا كل شيء ستتمتعين به هنا؟ هل انت نادمة على مجيئك معي؟».
استغربت سؤاله وكانت اعتقدت انه لا يبالي بما يمكن ان يدور في فكرها، بل ان ينفذ رغباته. فقالت:
«اعتقد ان الندم لا يفيد لاني تأخرت عليه». وضحكت وهي تقول:
«اقصد انني هنا الآن. ولا مهرب لي الا عندما تأخذني انت».
«هل تعتقدين انك قد ترغبين في الهروب؟».
هزت كتفيها بلا مبالاة وقالت:
«انا لا اعرف كيف ستسير عليه الأمور يا غريغ. هؤلاء الناس يعرفونك. سيلاحظون بسهولة اننا لسنا مغرمين ببعضنا».
صمت قليلاً وكأنه يفكر بحل. واخيراً قال:
«يمكنك ان تتصرفي معي وكأنني حبيبك، ما اسمه؟ روجر».
واجابته بذكاء:
«ومن هي التي ستكون في ذهنك عندما تغازلني بين الناس؟ هل المرأة التي بنيت البيت من اجلها؟».
سحب نفساً طويلاً وقال بتثاقل:
«نعم، وسأفعل ذلك».
ثم اضاف:
«سأريك غرفة نومك الآن. ستتجولين في البيت في وقت لاحق».
لاحظت كوري انه لم يمسك ذراعها ليقودها، بل سار امامها حتى القاعة الكبرى. وشعرت بارتياح وهي تفكر انه سيكون لها غرفتها الخاصة حيث ستكون حرة من دون الحاجة الى تمثيل دور يصير اصعب كلما مر الوقت. وكانت اعتقدت خطأ، مع ان الزواج هو في الاسم فقط، انها قد تشارك غريغ في غرفة نومه، على الأقل من اجل المظاهر التي يحرص عليها هو كثيراً.
سار في الطبقة الأرضية حتى آخر ممر حيث باب كبير بدا ان به يبتدىء جناح جديد متميز عن باقي البيت. فتح الباب ومنه الى قاعة صغيرة حيث

ثلاثة ابواب موزعة، فتح غريغ أحدها ودعا كوري للدخول قبله.

واذ بكوري تفاجأ بالغرفة الكبيرة، ولا تجد كلمات الاعجاب تعبر عنها. لا بد انها سيدة الغرف في البيت الكبير. السجاد الأبيض يغطي الأرض، والاثاث ابيض اللون ايضاً، على اطرافه خطوط ذهبية. ويعاكس اللون الأبيض في الغرفة اغطية حمراء على السرير الكبير والمقاعد. احد الجدران كان اكثره من الزجاج، وعندما اقتربت منه فهمت لماذا. اذ امامها تمتد السهول الأخضر وخليطٌ من المناظر الخلابة للنهر وبيوت المزرعة. وكأن للمسافات لا تعني شيئاً غير الجمال الطبيعي.

«آه يا غريغ، جميلة جداً هذه المناظر. والغرفة رائعة».

واضافت وهي تنظر عبر الزجاج:

«لا بد انك احببتها كثيراً، تلك المرأة التي بنيت البيت من اجلها».

وشعرت ان الصمت طال حتى كادت تظن انه غادر الغرفة. فاستدارت لتراه واقفاً بالتعابير القاسية ذاتها في وجهه. ولكن لم يقل شيئاً عن الموضوع بل:

«ساحضر لك حقائبك لتتمكني من توضيبها».

«شكراً لك».

اذن هو لا يرغب في الحديث عن تلك المرأة في حياته. فكرت كوري ان الامر لا يهمها. سارت في الغرفة وسألت غريغ وهو يتجه نحو القاعة الصغيرة:

«اين ستقيم انت؟ اقصد، اكره ان اخرجك من غرفتك».

ظهرت على وجهه ابتسامة باهتة. وقال:

«انا انام في الغرفة الثانية». ودل على الباب المواجه. «اما هذه الغرفة فلم استعملها ابداً».

«آه»، قالت وهي تفكر انه لم يستعمل الغرفة لأنه يحتفظ بها للعروس الخاصة التي رغم كل شيء لم يتزوجها. وتساءلت لماذا اهتم كثيراً بهندسة الغرفة وزينتها وجعلها غرفة رومانسية حالمة ومن ثم لم يتزوج من تلك المرأة. هل غيرت الفتاة رأيها؟ هل ثمة حادث قضى عليها؟ نظرت الى وجهه القاسي وتوقفت عن الذهاب بعيداً في تفكيرها ولكنه بدا وكأنه يخرق تفكيرها، اذ قال بجفاء:

«ان اتفاقنا لا يتضمن تبادل مشاعرنا وحياتنا الخاصة». واضاف: «ساذهب لأحضر حقائبك».

وغادر غريغ القاعة الصغيرة في اتجاه الجناح الاساسي من البيت الكبير وهي عادت تسير في الغرفة تتأملها ويعود الى رأسها وخز وجع الرأس الذي عرفته خلال الرحلة في الطائرة. ان الأشهر المقبلة كزوجة لغريغ مايسون لا بد ستكون اشهراً صعبة وقاسية. كان عليها ان تفكر بعمق اكبر عندما وافقت على الارتباط معه. حتى بوبي، ابن شقيق غريغ عنده تحفظات على زواجها من عمه.

عاد غريغ الى الغرفة وفي يده حقائب كوري وضعها الى جانب السرير. وقال:

«العشاء موعده في الساعة السابعة».

«هل بوبي. . . ؟».

«كلا، هو لا يكون معنا. يتناول طعام العشاء في المطبخ مع ايلين. ولكن الليلة. . .».

«تريده ان يتناول العشاء معنا؟».

«كلا. بل ارغب ان تأتي الى غرفة الجلوس عندما تصبحين مستعدة، فتتعرفان الى بعضكما رسمياً».

«حسناً».

وتوقفت قليلاً عن الكلام ثم اضافت:

«ماذا عليّ ان البس؟ اقصد هل ترتدون ثياباً خاصة للعشاء؟».

نظر الى السروال الذي ترتديه وقال:

«ربما تشعرين بحرية اكثر في الفستان. السروال جيد لنشاطات مختلفة، ولكنني عادة افضل الفستان لطاولة العشاء».

ونظرت كوري الى المناظر الطبيعية من الواجهة الزجاجية. وعلى جمع ماذا ترتدي على العشاء في مكان منعزل كهذا؟ وشعرت ان غريغ يرغب ان تظهر تساؤء في مظهر انثوي حتى لو كان وحده يرى ذلك.

بعد ساعة تقريباً غادرت كوري غرفتها بعدما استعدت تماماً للسهرة المقبلة امامها. كانت فتحت حقائبها ووضعت ثيابها في الخزائن. ثم اغتسلت في الحمام الفخم الذي بدا انها ستشترك فيه مع غريغ لأنه يقع بين

الغرفتين.

ترددت اي فستان تختار. واستقر رأيها على فستان بني غامق بعدما فكرت ان بوبي قد يفضل خالة وقورة على فتاة في فستان زاهي اللون.

وجدت طريقها بسهولة من الجناح الخاص الى الجناح الرئيسي من البيت. وراحت تتأمل الاثاث الوثير باعجاب خصوصاً ان كل ما فيه متلائم ودخلت الى غرفة الجلوس الكبيرة ووجدت في احدى زواياها بيانو. سارت على السجاد الوثير واقتربت من البيانو ووضعت يدها على الغطاء. هل غريغ يعزف على البيانو؟ او هو لزوجة اخيه ماريزا مايسون عندما تزور البيت لرؤية ابنها؟ وازعجتها فكرة ان تأتي العازفة المشهورة الى المزرعة اثناء وجود كوري كزوجة لغريغ. قطع تفكيرها صوت يقول:

«كوري، اريد ان اعرفك على ابن شقيقي بوبي».

التفتت كوري الى الوراء لتنظر اولاً الى قامة غريغ الطويلة ثم الى الصبي الذي يصل الى اسفل ذراع عمه الذي احاطه.

اخذت نفساً عميقاً واقتربت منها في حين رفع بوبي رأسه الى كوري ثم اعاده الى الارض. وجدته يشبه عمه كثيراً في شعره الأسود وعينيه السوداوين حتى ليكاد يكون ابنه. لا بد ان الشقيقين هنا يشبهان بعضهما كثيراً. نظرت الى بوبي وقالت:

«مرحباً بوبي. اخبرني عمك كثيراً عنك».

بقي بوبي ينظر الى الأرض. اصابع غريغ شدت على كتف بوبي وقال:

«قل اهلاً لخالتك الجديدة كوري».

فرفع بوبي رأسه وقال:

«اهلاً» بسرعة واعاد رأسه الى موضعه الأول. فقال له عمه:

«قل اهلاً يا خالتي كوري».

كوري تمنت ان لا يلح على الصبي. بدا يستدعي العطف في سروال الجينز الأزرق والقميص القلمة القصيرة الاكمام. ذراعاه نحيفتان. وفكرت كوري ان غريغ لا بد كان يشبهه عندما كان صغيراً.

تجاوب بوبي مع كلام عمه وقال طائعاً

«اهلاً يا خالتي كوري».

فابتسمت كوري وقالت:

«يا عزيزي بوبي، لا بد ان كلمة خالتي كبيرة عليك هل تناديني كوري فقط؟».

قالت ذلك وهي تعرف ان غريغ سيعترض لكن لا يهمها الأمر ثم دعت بوبي.

«تعال الى هنا نجلس وحدثني عن المزرعة».

وجلست الى المقعد الكبير نصف المستدير. في اتجاه المدفأة الحجرية الكبيرة في الجهة المقابلة من الغرفة.

«انا اجهل تماماً شؤون المزرعة واريد ان اعتمد عليك في تعريفي على الاشياء هنا».

وساد الصمت قليلاً. وبقيت ابتسامتها على شفتيها وهي تنظر الى العم والصبي. نظر بوبي الى عمه فشجعه ابتسامته ان يتبع كوري ويجلس الى جانبها. بدا متردداً ولكن ما لبث ان سار في الغرفة وجلس في طرف المقعد الكبير. نظرت كوري الى غريغ وقالت:

«هل يمكن يا غريغ ان تحضر لنا شيئاً مثلجاً نشربه؟ انا عطشانة جداً بعد الرحلة الطويلة».

التقت نظراتهما وبدا ان تصرفها ارضى غريغ وخرج من القاعة وعاد باكواب عصير وفيها ثلج. ناول الاثنين ثم قال:

«انا سأترككما تتعارفان لأذهب واغير ثيابي. ارجو يا بني ان تلبي حاجات كوري ان احتاجت الى اي شيء».

هز بوبي رأسه موافقاً. وما ان غادر غريغ الغرفة حتى سأل بوبي:

«هل تريدين بعض الفستق... او المكسرات... او اي شيء؟».

«كلا. افضل ان انتظر حتى العشاء. شكراً» ونظرت الى البيانو وقالت:

«سمعت والدتك تعزف في حفلة في فانكوفر».

ولأول مرة ظهر البريق في عيني الصبي الصغير وسأل بحماس:

«صحيح؟» واضاف متردداً «انا لم اسمعها تعزف في حفلة».

«ولكنها بالتأكيد تعزف لك هنا لوحدك عندما تحضر لتراك؟».

«نعم. ولكنني احب ان اسمعها تعزف في حفل حقيقي».

فقالت كوري بمرح:

«انا اعتقد ان كل الناس الذين يدفعون مالاً من اجل ان يسمعوها

تعرف يكونون سعداء لو عزفت لهم وحدهم مثلما تفعل لك». توقفت قليلاً عن الكلام ثم قالت «هل تأتي والدتك الى هنا مراراً؟».

«ليس كثيراً. انها تعزف في حفلات في انحاء العالم. ليس عندها الوقت لتأتي الى هنا. ولكنها عندما هي وعمي غريغ سيتزوجان...».

وتوقف عن الكلام فجأة وكأنه تذكر ان كوري هي زوجة عمه الآن وظهرت على وجهه علامات ارتباك عندما دخلت ايلين الى الغرفة.

«العشاء جاهز يا بوبي».

قالت مديرة البيت واضافت وهي تنظر الى كوري:

«المعلم لن يتأخر ويمكنكما ايضاً ان تتناولا الطعام باكراً».

بقيت كوري وحدها في الغرفة بعدما غادرته ايلين مع الصبي. اذن بوبي توقع ان تتزوج والدته من غريغ. وراح ذهنها يسترجع المرأة الجميلة عازفة البيانو المشهورة ذات الشخصية القوية المرتاحة. امرأة، لا بد تلائم كثيراً شخصية غريغ. انثى ناعمة، ومع ذلك واثقة من ذاتها وقادرة. اذن لماذا لم يتزوجها ويحل كل مشاكله بضربة واحدة؟ يتزوج والدة ابن شقيقه فلا دعوى حضانة ولا زوجة مثلها لا تعني له شيئاً.

«لماذا انت عابسة؟».

جاءها صوت غريغ متسائلاً. التفتت اليه ورأته بقميص وسروال اسودين، وبدا مسرح الشعر، معطراً وبيده كأس شراب، قررت ان تسأله:

«كنت افكر، لماذا لم تتزوج والدة بوبي؟».

لم يعلق على الفور. بل جلس حيث كان بوبي قبل قليل. فأضافت كوري:

«لو تزوجتها كنت انهيت الكثير من المشاكل».

«كان يمكن ذلك. ولكن ربما ايضاً كانت ظهرت مشاكل جديدة. ماريزا ليست من النوع الذي يسجن نفسه في مزرعة بعيدة عن جمهورها.

انها عازفة عظيمة: ليس من العدل ابعادها عن جمهورها.

«هكذا فكر اخي».

لم يتابع كلامه اذ دخلت ايلين وقالت:

«العشاء جاهز. هل اضعه على الطاولة».

فاجابها غريغ:

«نعم، وشكراً. سنكون معك على الفور».

قام من مكانه ومد يده لكوري كي تقف واحاطها بذراعه. وادركت كوري ان الرجل يمارس دور العريس امام مديرة البيت. وفيما هما يسيران معاً الى غرفة الطعام شعرت كوري ان الم الرأس عاودها. فكرت كم يكون لبسه لماريزا ماتسون صادقاً اكثر من لبسه اياها لو تزوجها. هو لم يخف رغبته في الزواج من ماريزا. لو لم يكن ارتباطها بجمهورها اقوى من ارتباطها به.

العشاء الذي اعدته ايلين كان مقبولاً على الرغم من انه لم يكن استثنائياً. قطع من لحم البقر مع مرقة وبطاطا مقلية وبازيلاء خضراء، وفطيرة الكرز وفوقها البوظة. ومن ثم فنجان قهوة.

كان اهدأ عشاء عرفته كوري منذ زمن بعيد. وفوجئت عندما قطع غريغ الصمت قائلاً:

«هل يزعجك؟».

«ماذا؟».

«اثر الجرح على خدي».

«آه».

شعرت بارتباك عندما لاحظت انها تحدق في اثر الجرح على خده. فقالت:

«بالطبع لا. ولماذا يزعجني؟ بالحقيقة انه...» وهنا اضافت القليل من المرح على ما تقول:

«يضفي عليك طابع الغموض. وكأنك دخلت في مبارزة من اجل امرأة جميلة».

ابتسم قليلاً ثم قال:

«لا شيء رومانسي. الجرح سببه عراك مع دب قبل بضع سنوات».

فوجئت كوري بكلامه وقالت بخوف:

«هل... الدببة تعيش في التلال المحيطة بنا؟».

«دببة وذئاب واسود».

ولم يبدو انه يمزح واضاف:

«ولكن لا مجال للقلق ان بقيت قريبة من مباني المزرعة. ان هذه

الحيوانات تظهر عندما يكون الشتاء قاسياً بشكل استثنائي فقط وتقترب لتبحث عن طعام».

ونظرت الى اثر الجرح وقالت:

«هل هذا هو السبب... ؟ اقصد هل الدب... ؟».

«كلا، كنت في رحلة صيد عندما واجهت دباً».

ولم يتابع رواية القصة بل وجد ان وجه كوري متعب كفاية فقال:

«لماذا لا تذهبين الى سريرك؟ استطيع ان احضر لك دواء لوجع الرأس».

«لا بأس. لن ابقى هنا اطول مما استطيع».

«الاحظ ان هذا النهار كان متعباً بالنسبة اليك. ولكن أعتقد ان الأسوأ مر وانتهى. يبدو انك اذبت الثلج بينك وبين بوبي، انه يحتاج الى امرأة في البيت».

ولاحظت ان وجهها ازداد صفرة، فقام من كرسيه نحوها.

«قومي الى سريرك. وانا سأكون عندك خلال دقائق».

عندما دخلت ايلين الى غرفة الطعام ووجدت غريغ يحيط بكوري لا بد انها اعتبرت الاثنين في لحظة حميمة طبيعية لزوجين متزوجين حديثاً وانهما ينتظران الفرصة ليصبحا وحدهما في غرفة النوم. مدبرة البيت قالت شيئاً لغريغ في لغتها الاصلية ضاحكة. فأجابها غريغ باللغة ذاتها. فشعرت كوري بالخجل اذ لم يكن من الصعب فهم ما دار بين الاثنين. وعندما وصلا الى جناحهما الخاص اسرعت الى غرفتها وهي تفكر بقدرة غريغ على التمثيل في شكل فاق قدرتها هي.

بعد نحو عشرين دقيقة عاد غريغ الى الغرفة ليجد كوري جالسة على المقعد الوثير الهزاز قرب النافذة، مرتدية ثياب النوم، قميصاً من الحرير الأبيض وعليه مشلح من القماش ذاته والتطريز الملائم للاثنين. كانت دورين اقترحته على انه مناسب تماماً للعروس في ليلة عرسها. كوري كانت غارقة في الم رأسها، ارتدتها من دون شديد تركيز. وفكرت ان تجلس على المقعد بعيداً عن السرير كي لا يأتي ويجدها هناك. وربما من اجل ان لا ينزعج لوجود امرأة غير التي يحب، في سرير الزوجية.

طرق على الباب، فدعته للدخول. بدا مستغرباً وفي يده كوب من

الحليب الساخن وفي الاخرى حبتان لوجع الرأس.

«انت لست في السرير».

«كلا، فكرت... ان اجلس قليلاً هنا».

«هل الم الرأس اسوأ؟».

هزت رأسها.

«خذي، ستساعدانك على الم الرأس وتجعلانك تنامين افضل».

اخذت الحبتين من يديه وبلعتهما بثقة مع الحليب الساخن ولم تلاحظ انه وقف خلفها الا عندما مد يديه وازاح شعرها واحاط عنقها يدلكها ليخفف عنها الالم.

«استرخي».

قال واستمر في التدليك وكأنه معلم شاطر. استرخت للتو وهو يكاد يدرك تماماً نقاط الالم حيث يدلك.

وضعت كوب الحليب جانباً وشعرت ان النعاس يتغلب عليها. هل الحبوب ام تأثير يديه على عنقها جعلها ترتاح؟ لم يكن مهماً وفكرت للحظة ان المرأة التي رفضت هذا الرجل لا بد انها حمقاء. انه يمكن ان يكون كل شيء للمرأة التي يحب.

فتحت عينيها مندهشة عندما شعرت يديه تنزعان عنها المشلح.

«لا تخافي» قال وهو يرفعها بين ذراعيه ويحملها نحو السرير.

«سأغادر الغرفة فور ان اطمئن انك داخل الفراش».

انزلها بنعومة تحت الغطاء ثم جعل الغطاء عليها. فقالت مع نعاس شديد:

«لم اشأ... ان تراني... داخل السرير... انا لست المرأة التي تحب... ؟».

ولم تتمكن ان تحارب النعاس اكثر واغمضت عينيها وغرقت في النوم.

٤- وهم غالي الثمن

كانت الشمس قد أشرقت منذ وقت طويل على مزرعة مايسون عندما استيقظت كوري في اليوم التالي وتطلّعت حولها في استغراب الى ان تذكرت اين هي وماذا تفعل هنا. اصوات العصافير المختلفة المنبعثة من خلف ستائر النافذة اعطتها انطباعاً بأنها تأخرت كثيراً في الاستيقاظ.

بحثت عن ساعتها على الطاولة قربها فوجدتها نحو التاسعة. الصمت يخيم على البيت وشعرت ان غريغ، مثل العصافير استيقظ منذ ساعات.

استحمّت كوري بسرعة، لبست ثيابا اعتبرتها ملائمة للمزرعة، وبعد ان سرحت شعرها قورت وبطه الى الوراء مثل ذنب الحصان.

وما ان خرجت من الجناح الخاص واصبحت في القاعة الكبرى حتى سمعت ضجيجاً لجهة المطبخ. توجهت الى هناك واذ بها داخل اكبر مطبخ

رأته في حياتها. خزائن عالية بلون الخردل تزين الجدران وتفرقها نوافذ تضفي اضاءة على المطبخ من كل الجوانب. والاحواض بمختلف الاحجام والمعدات المطبخية. الى جانب المطبخ غرفة طعام صغيرة فيها طاولة طعام للجلسات السريعة. تفصل المطبخ عن غرفة الطعام الكبيرة. والى جانب المطبخ ايضاً غرفة علمت كوري انها لغسيل الثياب من هدير الغسالة المنبعث منها. من غرفة الغسيل هذه خرجت ايلين وظهرت على وجهها ابتسامة ترحيب عندما رأت كوري:

«آه، انت استيقظت. قال المعلم ان لا نزعجك الى ان تستيقظي وحدك. انت كنت متعبة جداً».

وتابعت ايلين وابتساماتها تأخذ عرضاً جديداً.

«ان غريغ رجل قوي اليس كذلك؟ ارجو ان تنجبوا الكثير من الصبيان».

وامتقع وجه كوري خجلاً عندما فهمت ما تقصده مديرة البيت. بالطبع ان ايلين توقعت ان تكون هي وغريغ امضيا ليلة رائعة مثل اي زوجين جديدين.

وسألت كوري بعد صمت:

«اين غريغ؟».

«لا شيء يغير من طباع غريغ. ولا حتى زوجة جديدة. خرج كالعادة، تماماً بعد السابعة. اظن انك لم تشعري به عندما قام».

«كلا، لم اشعر به».

وتابعت تسأل:

«هل بوبي موجود في البيت؟».

«ذهب الى المدرسة».

وقدمت ايلين لكوري فنجان شاي وهي تقول:

«ساعد لك الفطور خلال تناولك الشاي».

تساءلت كوري:

«في المدرسة؟ اعتقدت ان المعلمة غادرت القرية؟».

«آه صحيح، لا احد انزعج لرحيلها. كانت ثقيلة الظل جداً. دائماً تقول لغريغ انها لا تستطيع تحمل اصوات الذئاب والدببة التي تأتيها من

التلال البعيدة. غريغ كان سعيداً جداً عندما نقلها خارج المزرعة في الطائرة».

وسألت كوري بفضول:

«هل أقامت في البيت هنا؟».

«كلا، ابداً. كانت تتمنى ذلك. ولكن غريغ قال ان ليس من اللائق لرجل عازب ان تقيم معه امرأة في البيت. بالطبع كان كلامه حجة فقط من اجل ابعادها قدر الامكان، اذ عندما تحضر السيدة مايسون، يكونان وحدهما اكثر الاوقات. وخصوصاً في الليالي عندما تعزف له على البيانو لساعات».

وبدت ايلين منزعجة لسيرة السيدة مايسون وهي تضيف:

«أنا اعرف ان السيدة مايسون مشهورة في عزفها على البيانو، ولكنني أملّ من سماعها تعزف ساعة بعد ساعة لذلك اغادر البيت في زيارات مختلفة».

وكأنها لاحظت انها تطيل الحديث في موضوع واحد، فغيّرت الكلام:

«استريحي في غرفة الطعام، فاحضر اليك الفطور هناك».

ومن على باب غرفة الطعام استدارت كوري وسألت:

«ولكن من يعلم الاولاد في المدرسة؟».

«جين ريبرن زوجة مالك المزارع. انها ليست معلمة ولكنها تراقب الاولاد في المدرسة من اجل ان يبتعدوا خلال النهار عن ازعاج امهاتهم».

ودخلت كوري غرفة الطعام الكبيرة وجلست حيث كانت بالأمس في مواجهة غريغ. اكثر ما شغل فكرها أولاد المزرعة الذين يستحقون اكثر من مجرد الابتعاد عن ازعاج امهاتهم. غريغ كان سألها في اول لقاء ان تكون معلمة في المزرعة. وهي تستطيع ان تقوم بهذه المهمة اضافة الى دورها الرئيسي في التصرّف كزوجة لغريغ. لأنها يمكن ان تفقد عقلها ان امضت النهار وحدها في البيت تنتظر عودة غريغ في المساء، وتراقب ايلين تقوم بالاشغال المنزلية. هي لا تعرف ركوب الحصان لتتنقل في المنطقة. وبعد ملاحظات ايلين عن المعلمة القديمة، قررت كوري ان تتعلّم ركوب الحصان لتتمكّن من الذهاب الى المدرسة. ومع انها تخاف من فكرة المحاولة الاّ أنّ معرفتها امكان مجيء ماريزا مايسون وركوبها الخيل مع غريغ، في

حين يمكن ان تبقى كوري في البيت، جعلها تصمّم ان تتغلّب على خوفها وتبدأ التعلم.

سرحت بنظرها عبر النافذة نحو السهل الممتد، وهي تفكر بماريزا. كان من السهل عليها جداً تصوُّر المشهد الحميم في غرفة الجلوس حيث ماريزا تعزف البيانو للرجل المعجب. ولكنه ان كان مغرماً بها لماذا لم يتزوجها ويحل كل مشاكله في ضربة واحدة؟ هل المانع فقط هو عدم رغبتها في التخلي عن جمهورها؟ وماذا عن واجباتها تجاه ابنها؟

ودخلت ايلين ووضعت على الطاولة صحناً من البيض المقلي واشكالاً من الاجبان والزبدة واللحوم المقددة والمربيات والخبز فاعترضت كوري قائلة:

«يا ايلين انا عادة اتناول قطعة خبز محمصة فقط».

«والكل يقول ذلك عندما يحضر لاول مرة من المدينة الى هنا. وفي وقت قصير تفتح شهيته».

وتابعت:

«سأذهب لأرتب غرفتك اثناء تناولك الفطور».

وكادت كوري ان تقفز من كرسيها وهي تقول:

«كلا، . . . أنا ساهتم بهذا الجناح من البيت يا ايلين. انت افعلي كل شيء آخر».

واذ بصوت غريغ يأتيها من الخلف يقول:

«افعلي كما تقول السيدة يا ايلين».

واستدارت كوري برأسها لترى غريغ بقامته المشوقة يدخل غرفة الطعام ويجلس على الكرسي قبالتها. وشعرت كوري ان قلبها خفق بسرعة للمفاجأة.

قال لايلين:

«يمكنك ان تحضري لي القليل من القهوة».

ثم التفت الى كوري وقال:

«تناولي طعامك قبل ان يبرد».

نظرت اليه ولاحظت عمق عينيه السوداوين وشعرت أنّ تحديقه بها وهي تتناول الطعام سيخفف من شهيتها للأكل. ومع ذلك بدأت تأكل ببطء وقالت وكأنها تدافع عن نفسها:

«وأنا عادة لا اتأخر في الاستيقاظ صباحاً».
شعرت انه قد يفكر انها كسولة. ولكنه قال:
«ليس من الضروري ان تستيقظي باكراً مثلما افعل انا».
وشكر ايلين بابتسامة وهي تقدم له فنجان القهوة. اضاف السكر الى القهوة وراح يحرك الملعقة بتواصل ويقول:
«كل ما اطلبه منك ان تتقني دور الزوجة الى ان تنتهي دعوى الحضانة».
«ومن ثم؟» سألت بتحدٍّ وهي تضع لقمة كبيرة في فمها «هل تعتقد انه من المفيد للصبي ان يربى من دون تأثير والدته في حياته؟».
بعد صمت قليل اجاب مرافقاً:
«كلا. ولكن ما اعطيه انا هو البديل لحياة متنقلة هائمة حول الارض مع امه».
وتابع وهو يغير الموضوع:
«عندما تنتهين من تناول الطعام سآخذك لتقابلي بعض المزارعين الذين ينتظرون التعرف اليك. ان هانك اعطاهم مقدمة ممتازة عنك».
«ليته لم يفعل. كثيراً ما اجد نفسي خائفة امام شخص يأخذ فكرة جيدة مسبقة عني».
وقفت تنظر الى ثيابها وسألته:
«هل ابدو مقبولة هكذا؟ ليس عندي اي فكرة فيما يجب ان ترتدي زوجة السيّد في المزرعة».
تجولت نظراته على جسمها ثم قال:
«اشك في ان يخيب امل اي منهم. المتزوجون منهم سيعتقدون اني رجل محظوظ جداً. وغير المتزوجين سيلعنون الساعة التي شاهدتك فيها قبلهم».
شعرت بارتباك وقالت من دون شديد تركيز:
«لو يعرفون اني ما زلت متاحة لهم».
لم تتوقّع ان يأتي رد فعله قاسياً. قفز من مقعده نحوها وشدّها من معصمها وهزّها قائلاً:
«ما دمت في المزرعة، انت لست متاحة لأي كان غيري. لن تحاولي لا بالكلام ولا بالاشارة ان تدعي احداً يعرف انّ زواجنا ليس مكتملاً. انا لن اقبل اي مجازفة».

«لا تقلق يا غريغ» قالت وهي تسحب معصمها من يده «انا لست مهتمة بالرجال، خصوصاً القساة منهم مثل المزارعين. احب رجلي ان يملك القليل من اللطف والتهذيب».
وفكرت ان غريغ هو من المزارعين القساة، ولكنه في كل حال لا يخلو من اللطف والتهذيب عندما يقصد ذلك.
ولاحت:
«انا سأكون مستعدة للذهاب معك خلال دقائق».
وغادرت الغرفة متوجهة الى الجناح الخاص بها، مرتاحة بهروبها منه لبعض الوقت. رتبت سريرها في سرعة ثم انتقلت الى غرفة غريغ بتردد. شعرت انها ستخترق حرمه ومع ذلك دخلت لترى السرير في حاجة الى ترتيب. فكرت انّ ايلين يجب ان لا تدخل جناحها ابداً كي لا تلاحظ نومهما في غرف منفصلة. شعرت، وهي ترتب السرير الاصغر قليلاً من سريرها، بفضول نحو الاشياء الحميمة الرجالية. اغلقت خزانته وفي داخلها اشياؤه الخاصة المرتبة. غريغ مايسون بالنسبة اليها كان رجلاً ابعد بكثير من ان تستطيع فهمه.
بعد وقت قليل كانت تسير مع غريغ خارج البيت. السهل بدا اكثر خضرة وجمالاً. والحدائق المحيطة بالبيت ظهرت فيها براعم زهور ستتفتح خلال اسبوع او اثنين.
سألته:
«من يعتني بالحدائق؟ ومن يحضر الخضار الى البيت؟».
«جوزيف يهتم بكل شيء من الازهار وحتى جلب الخضار الى البيت. وانا احضر ما نحتاج اليه من فانكوفر وبلدة ولياس ليك مرّة في الاسبوع اذهب انا او هانك بالطائرة الصغيرة نحو ولياس ليك ونحضر ما نحتاج اليه اضافة الى البريد».
«هل تقصد أننا سننتظر اسبوعاً من اجل البريد؟».
«وهل توقعت ان يأتي ساعي البريد الى هنا كل يوم بسيارته الحمراء؟ انا اعتقدت انك غادرت المدينة مع فكرة التخلي عن عادات المدينة».
«انا افرح ان استلمت رسالة من دورين».
«هل الرسالة من شقيقتك هي التي ستسرك؟ كلا، بل اعتقد انك

ترغبين في معرفة اخبار خطيبك السابق». وبتجاهلاً الالم الذي سببه لها كلامه اضاف «والاسراع في القدرة على نسيانه افضل لك وللجميع». وتابع متعمداً السخرية «من يدري، انّ البعد يزيد من اشواق القلب».

لم تستطع كوري الاّ ان تجيبه بغضب:

«على الاقل روجر عنده قلب».

ولكن اكثر ما أثارها هو انها لم تفكر في روجر اطلاقاً منذ وطئت قدماها المزرعة. اجابها غريغ معلقاً على كلامها:

«هل تقصدين ان لا قلب عندي؟» واضاف بلا مبالاة «ربما انت على حق في ذلك».

وانتهت المحادثة بعدما بلغا سيراً على الاقدام قلب المزرعة. على ضفتي النهر بيوت تمتد بعيداً. من جهة اسطبلات الماشية، ومن الجهة الاخرى بيوت سكنية. احد المباني بدا مختلفاً في الشكل وتوقعت كوري ان يكون «المدرسة». ومبنى صغير فهمت انه دكان المزرعة.

ومن بعد ذلك مبانٍ صغيرة الاحجام.

«انها مساكن العمال غير المتزوجين».

قال ذلك وهو يتأبط ذراعها ويتجّه صوب المدرسة.

«ربما من الافضل ان نبدأ من هناك».

أصوات اقدامها على الارض الخشبية اضفت هيبة على دخولها المدرسة اذ خيم على الاولاد صمت شديد عندما دخلا غرفة الصف. تجولت كوري بنظرها في فضول لترى المقاعد واللوح الاسود والاشياء المعلقة على الحيطان وامرأة شعرها احمر تجلس خلف طاولة المعلمة ما ان رأتهما حتى وقفت مرحبة. غريغ تولى اجراء التعارف بين كوري وجين ريبرن. ثم التعارف مع طلاب المدرسة. قرأت كوري اشكالاً مختلفة تنظر اليها من الاولاد، من الهنود الاصليين السمر اللون الى الاولاد الشقر. اما بوبي وحده فلم يرفع رأسه وكأنه ارتبك خجلاً من المفاجأة. شفتاه بقيتا مغلقتين فيما باقي الاولاد رددوا في صوت واحد جملة ترحيب بالسيدة مايسون اعطتهم جين الاشارة لقولها. ثم قالت لهم:

«حسناً يا اولاد يمكنكم الخروج الى الملعب عشر دقائق».

وعلى الفور هبّ الاولاد الى الخارج وكأنهم ينتظرون الفرصة للانطلاق

تحت الشمس. وابتسمت كوري لهم ولجين التي بدا النمش في وجهها يضفي عليها جاذبية خاصة.

«أنا مسرورة في التعرف اليك، كوري. كلّنا هنا كنا نعتقد ان غريغ لن يجد له زوجة ابداً».

ثم التفتت الى غريغ وقالت:

«اعتقدت انك ذهبت تبحث عن معلمة لا عن زوجة جميلة».

فتحت كوري فمها تريد ان تقول انها معلمة ايضاً ولكن غريغ شدّها من ذراعها مذكراً ان لا تفعل. وقال:

«وجدت معلمة كفوءة ولكن للسنة الدراسية المقبلة التي تبدأ في ايلول. عند زوجها الكثير من الخبرة في المزارع في الجنوب واعتقد انهما معاً سيسهلان الامر لنا».

وأبدت جين انزعاجاً لفكرة انها ستبقى تهتم بالاولاد حتى نهاية السنة الجارية.

«ان ايلول بعيد جداً. صحيح ان امامي اسابيع قليلة قبل عطلة الصيف ولكن هؤلاء الاولاد في حاجة الى معلمة حقيقية، لا امرأة تراقبهم فقط».

وهنا حاولت كوري ان تتدخل.

«ولكنني انا...».

فقاطعها غريغ قائلاً لجين:

«ارجو ان تفعلي المستطاع لضبط هؤلاء الاولاد يا جين. على كل حال ربما نعطيهم عطلة الصيف باكراً هذه السنة».

وما ان اصبحا خارج المدرسة حتى التفتت كوري الى غريغ قائلة:

«يا غريغ أنا معلمة. لماذا لا استطيع ان آخذ مكان جين؟».

«ان زوجتي لا تعلم في مدرسة».

«ارجوك لا تكن متخلفاً. ماذا تتوقع مني ان افعل طيلة النهار؟ اجلس واقلّم اظافري؟».

ومن دون استعداد، مدّ يده نحو يدها ورفعها نحوه لينظر الى اظافرها المقلمة جيداً والمطلية بلون الزهر. سحبت يدها منه وتابعا السير. دلها على اسطبل للثيران قائلاً:

«هذا اهم ما عندنا. احضرناها مع مجموعة اوروبية لترى امكان تحمّلها طقسنا».

شعرت كوري بخوف من الثيران ولكنها اطمأنت الى أنّ السور قاسٍ ومغلق باحكام فلا تشرد نحوها. وخافت ايضاً من مشهد الاحصنة في باحة اسطبل مجاور. فقال غريغ:

«يجب ان اعلمك ركوب الحصان. انه ضرورة في هذا المكان».

الخوف جعلها تقول:

«ولكن الامر لا يستأهل العذاب فأنا بالكاد سأمضي وقتاً كافياً يجعلني احتاج الى ركوب الحصان».

لاحظت وجهه مشدوداً وكأنه امتعض ورغب في الاجابة. ولكن مجيء هانك مع رجلين آخرين اوقف الحوار.

بدا هانك انيقاً خصوصاً عندما نزع قبعته وحيّا كوري. شعره الاشقر ووجهه الذي لفحته الشمس، وعيناه الزرقاوان، كلها بدت لكوري جذابة. ولباسه مثل اي مزارع فوضوي لم يخفف كثيراً من مظهره اللائق. قال مبتسماً:

«اذن العروس الخجولة تتجوّل حول المزرعة؟».

ابتسمت له ولرفاقه. يد غريغ شدت على ذراعها وقال يعرفها على الشابين الى جانب هانك:

«هذا ميتش، ولفي يطبخ للمزارعين غير المتزوجين».

فقال الطباخ مازحاً:

«حان الوقت لزواج غريغ. ان الرجل منّا يحتاج الى نعومة امرأة الى جانبه والّا يصبح قاسياً مثل اي ثور هنا».

وبعد حوار ضاحك ابتعد الرجال الثلاثة ليتابعوا اعمالهم. واخذها غريغ الى مبنى فيه آلات متنوعة للزراعة والحصاد. وظهر جوزيف الرجل الهندي الذي يهتم بالحدائق والخضار. وبدا سعيداً عندما سألته كوري عن سور حديدي. فأجاب:

«انه للغزلان، احيط به الحدائق لأمنعها عندما تنزل من التلال من اكل خضاري».

ثم اخذها الى غرفة زجاجية للنباتات والازهار الاختبارية. وعندما رآها

كوري عبرت عن اعجابها الشديد، وكذلك ابدت اعجابها بضمة من البنفسج في وعاء صغير.

رفعها جوزيف وقدمها لها قائلاً:

«انها لك. خذيها. انها تشبهك تماماً. صغيرة ونضرة وحلوة».

ترددت قليلاً لأنها لم ترغب ان تأخذ اجمل ما عند جوزيف. ولكن ابتسامة غريغ وتشجيعه لها جعلاها توافق شاكرة.

نظر غريغ الى ساعته ثم قال:

«يجب ان نعود الى البيت ونكمل الجولة في وقت آخر. اعتقد أن ايلين انتهت من اعداد الغداء».

وفيما هما يسيران عائدين نظر الى بيوت المزارعين المتزوجين من بعيد وقال:

«لا بد أنّ الزوجات سيدعينك الى حفلة استقبال بعد يوم او يومين».

من هنا فهمت كوري أنّ عليها ان تنتظر الدعوة قبل ان ترضي فضولها في رؤية البيوت التي تبدو جذابة من بعيد. ولاحظت بيتاً صغيراً منفرداً فقالت مبدية اعجابها به:

«كم هو جميل هذا البيت. هل كنت سأسكن هناك لو جئت كمعلمة؟».

فأجاب بتردد:

«نعم. يبدو انك تفضلينه على بيتنا».

«البيت الصغير جميل. احياناً يشعر المرء بحرية اكثر عندما يكون عنده بيت له وحده».

«ومن دون زوج؟».

«نعم. كل عمري كان عليّ ان اعيش في بيت يختاره آخرون، اهلي اولاً ثم نورين وهاورد. والآن بيتك انت. جميل جداً ان يختار الانسان بيته ويتنقي اثاثه ويختار الوقت الذي يريد ان ينام فيه او يقوم، او يأكل ويشرب ويتنزه».

وشعرت بثقة وهي تتكلم. وفوجئت انه لم ينزعج من كلامها بل قال:

«انا افهم ماذا تعنين. على بعد بضعة اميال من هنا عندي كوخ صغير مؤلف من غرفة واحدة. اذهب اليه مرات وحدي ومرات مع بوبي».

نظرت اليه وقالت متذكرة بوبي:

«انك تهتم كثيراً ببوبي».

«عندي مسؤولية تجاهه».

«هل هذا كل شيء؟»،

سألت وهي تشعر بثقل أنفاسها وهما يقتربان من البيت. وقالت وهي تتوقف وتنظر اليه:

«أليس هنالك شخص آخر في العالم تحبه يا غريغ؟».

فالتفت اليها وقال بلا مبالاة:

«ان الحب بضاعة ثمنها الناس اكثر مما تستحق».

وفتح الباب الرئيسي ودخلا الى البيت وعلّق سترته وقال:

«ان الحب وهم في عيني المرأة التي تغلّف رغباتها الحسية بغلاف رومانسي فلا يعرف الرجل ماذا يحدث له الا بعد ان يقع في المصيدة».

فاجابته بحنق:

«لا بد انك تكبت كثيراً رغباتك الحسية». وتابعت غير متأثرة بنظراته نحوها.

«ام انك لا تعرف شيئاً عن هذه الرغبات؟».

لاحظت عضلة في اسفل فكه تنتفض وفيما هو يحدق فيها بغضب، فاجأها بعناق قاس لم تعرف مثله من قبل. وبعدما اعتادت على يديه تحيطان بها ابتعد عنها وقال:

«لا تفسري ما حدث بشكل ثغرة في اتفاقنا. فقط اردت ان تتعلّمي درساً في ان لا تهزأي من رجولية رجل خصوصاً في هذه الانحاء المنعزلة».

وقبل ان تتمكن من قول اي شيء انسحب غريغ واختفى داخل البيت تاركاً اياها ترتجف من المفاجأة ومن لمسات يديه عليها. وشعرت انها عاجزة عن التصرّف. هي تحت رحمته عندما كانت بين ذراعيه. وهي تحت رحمته ايضاً ان فكرت يوماً بمغادرة المزرعة. وهو لن يدعها تذهب قبل ان يربح دعوى الحضانة. فكرت انّ المجال الوحيد امامها ان رغبت في الرحيل، هو في اقناع هانك ان يأخذها خارج المزرعة. ولكن هانك يعمل عند غريغ ولا

يمكن ان يتصرف من دون موافقة معلمه حتى لو كان شديد الاعجاب بها. قررت ان تتصرّف بهدوء وتنتظر ما يأتي وقررت ايضاً ان تكون معلمة في المزرعة، المهم ان لا تكون عبئة لغريغ طيلة المدة التي ستبقى فيها هنا.

٥- وجهها يرقد بين كفيه

لم تتبادل كوري الكلام مع غريغ على انفراد طيلة النهار. دخلت البيت بعدما امضت بعد الظهر في بركة السباحة. نزعت عنها مايو السباحة وارتدت فستاناً اصفر اللون عالي اللياقة ودخلت غرفة الجلوس لتنظر عبر النافذة الى السهل مع الغروب. اخذتها الافكار ليس نحو غريغ بل نحو بوبي. ظنّت انها تمكنت من الحصول على قناعة بوبي بها في الليلة السابقة عندما تبادلا الحديث معاً. ولكن اليوم كان الامر مختلفاً. حاولت على طاولة الغداء ان تكسب وده عبثاً، اذ كان يجيب باختصار على اسئلتها. واخيراً قالت له:

«هل تسبح معي في البركة بعد الظهر يا بوبي؟».

اجاب مسحاً:

«اريد ان اذهب الى منزل سكوت. هل استطيع ان اذهب الآن يا عمي غريغ؟»

رد عمه:

«طبعاً ان كنت انتهيت من تناول الطعام. ولكن لا تتأخر اكثر من الساعة الخامسة والنصف».

وعندما غادر بوبي المكان قال غريغ لكوري:

«اعطه بعض الوقت ليعتاد عليك اعتقد ان رفاقه يغيظونه بالحديث عن زوجة عمه الجميلة».

بدت كوري مستغربة. فسألت:

«ولماذا يقولون ذلك؟».

«لا تعرف ان كانت تسأل: لماذا يغيظونه او عن كونها جميلة. ولكن غريغ تبنى الفكرة الثانية اذ قال:

«لا تحاولي ان تصطادي المديح مني يا كوري. انت لا تحتاجين الى ان اخبرك عن جمالك».

حاورت جواباً ولم تجد غير القول ببرود:

«صحيح، انا لا احتاج الى ذلك».

والآن وهي تنتظره في غرفة الجلوس راحت ترسم ملامحه القاسية وعناقه لها في الصباح، هذا العناق الذي خلا من اي عاطفة.

«هل استطيع ان اقدم لك كوباً من الشراب؟».

جاءها سؤاله من الخلف. فالتفتت لتراه مرتدياً قميصاً حمراء وسروالاً اسود.

وافقت شاكرة. فأحضر كوبين وقدم لها واحداً حيث كانت تجلس على احد المقاعد. جلس هو الآخر في مقعد مقابل. بدأت الكلام فوراً:

«اريد ان اتكلم معك عن المدرسة والاولاد».

جاءها جوابه من دون انتظار لباقي كلامها:

«انا سبق أن قلت لك ان زوجتي لا تعلّم في المدرسة. ان الكثير من الاشياء يمكن ان تقومي بها في البيت الكبير خصوصاً في الحفلات التي نحييها هنا اضافة الى الاهتمام بالشؤون الاجتماعية مع نساء المزرعة».

استمعت اليه وبعد صمت قليل قالت:

«أنت تعرف اني لا استطيع ان اقوم بأي شيء، لان كل الاشياء معدّة سلفاً خصوصاً انني لن امضي هنا الا بضعة اشهر. ثم اين هي الحفلات التي تتحدث عنها واللقاءات مع الضيوف باستثناء الزيارات التي يمكن ان تقوم بها ماريزا مايسون؟».

«كثيرون يتوقعون ان ادعوهم الى حفلات في البيت خصوصاً بعدما اصبح عندي زوجة. من بينهم كثيرون سبق أن دعوني الى حفلات عندهم في الماضي».

نظرت اليه كوري وشعرت انها مظلومة في هذا الدور الذي تلعبه طائعة. همست:

«آه يا غريغ، كان يجب ان تتزوج امرأة تختارها عن قناعة. امرأة تحبها انت وتبادلك هي الحب».

نظر اليها وقال مذكراً:

«اعتقدت ان موضوع الحب انتهينا منه خلال حديثنا الصباحي».

وانتهى الكلام عند هذا الحد. لا تستطيع ان تفهم غريغ ولا تقبل مفهومه للحب في انه ارضاء للرغبات الحسية فقط. وشعرت بالشفقة على اي امرأة يمكن ان تقع في حب رجل مثله.

ومرّت أيامها في المزرعة بطيئة لا معنى لها. في الصباح تهتم بترتيب وتنظيف الجناح الخاص بها. وبعد الظهر داخل بركة السباحة او الى جانب البركة تعرض جسمها للشمس وتجعله في لون العسل.

بوبي كان دائماً يختفي بعد الغداء. وغريغ ينهمك في اعماله في مكتبه في الغرفة المتفرعة عن القاعة الكبرى. بعض الليالي تذهب كوري الى غرفة النوم من دون حتى ان تقول «تصبح على خير».

وهو كان مأخوذاً بالاعمال التي يقوم بها. وكم كانت تتمنّى لو تملأ اوقاتها بأشياء نافعة اكثر مما تفعل. بعد عشرة ايام من مجيئها الى مزرعة مايسون، وفيما الثلاثة يتناولون طعام الغداء غادر البيت غريغ قبل بوبي لاول مرة. النهار كان دافئاً اكثر من العادة والشمس تنعكس باغراء على بركة السباحة.

سألت بوبي في محاولة اخيرة لاستدراجه:

«لماذا لا تحضر رفاقك الى هنا للسباحة يا بوبي؟».

ظهر في عينيه بعض اهتمام ما لبث ان اختفى وهو يقول:

«عمي غريغ قال اننا لا نستطيع ان نسبح في البركة الا اذا كان هو يراقبنا».

«انا واثقة انه يقصد انكم لا تستطيعون السباحة اذا لم يكن معكم شخص كبير يراقبكم. انا اجيد السباحة واستطيع ان اراقبكم. واضافت وهي تكاد تستجديه «انت تعرف اني احتاج الى رفقة. اشعر اني وحيدة وضجرة عندما اسبح لوحدي».

فرد بوبي:

«ربما عمي غريغ لا يقبل ان نزعجك».

«اترك عمك غريغ عليّ». اجابت بثقة وهي تعرف ان اي اعتراض من غريغ ستجابهه بقوة. وأضافت: «اذهب واجمع رفاقك وتعالوا سنمضي وقتاً مسلياً».

قفز بوبي من مقعده بفرح واسرع خارج البيت الى بيوت رفاقه من ابناء العمال في المزرعة. وكوري دخلت الى غرفتها وارتدت مايو السباحة وخرجت تنتظر.

بعد دقائق فوجئت بعدد الاولاد الذي حضروا. كل طلاب المدرسة. بالطبع، في مكان منعزل مثل مزرعة مايسون لا يمكن ان يترك احد خارج تسلية جماعية. كانوا اربعة صبيان واربع بنات. بعد مرحلة قصيرة من الحياء، اندمج الجميع في مباريات السباحة التي نظمتها كوري في الاحجام والاعمار. وراح الكل يتسابقون من جهة الى اخرى في البركة الكبيرة.

ايلين خرجت وفي يدها طبق مليء بأكواب الليموناضة والكعك الخارج للتو من الفرن.

«تعال ساعدني، يا جيسون».

نادت ايلين الولد الكبير في المجموعة وهو من الهنود الاصليين، اسود الشعر، شديد التهذيب، ساعد كوري في تنظيم باقي الاولاد ومراقبتهم. اقترب من ايلين طائعاً ومساعداً.

وفيما الجميع يتناول الليموناضة والكعك الى جانب بركة السباحة راحت كوري تختبرهم في معلوماتهم المدرسية ووجدت في اجاباتهم مستوى

مقبولاً، وكم تمنت لو تتولى تعليمهم.

ومرّ الوقت في سرعة وكوري تنظم لهم لعبة رياضية بالكرة داخل المياه. ومع ذلك لم يكن الوقت متأخراً بحيث يحين موعد عودة غريغ. كانت تقف داخل احدى جهات البركة وترفع الكرة في يدها تفكر الى من ترميها وسط صيحات الاولاد.

«ارميها يا سيدة مايسون»، «كلا، بل لي انا».

ثم . . . رأت من بعيد غريغ واقفاً الى الباب المفتوح في غرفة الطعام يراقبهم. شعرت بارتباك وخجل ورمت الكرة في الهواء بحيث قفز الاولاد لالتقاطها.

بوبي ابتعد عن رفاقه وسبح حتى طرف البركة وصعد نحو عمه قائلاً:

«لماذا لا تسبح معنا يا عمي؟ منذ زمن بعيد لم تسبح معنا».

«بعضنا يجب ان يعمل من اجل ان يؤمن معيشته». قال وهو يبتسم ثم اضاف وهو يلاحظ حماس بوبي:

«ولكن، بما انني اخذت اجازة بعد الظهر، استطيع ان الحق بكم».

وسار نحو البركة قرب كوري قائلاً:

«كنت أتساءل من هو الساحر الذي استطاع ان يسحب الاولاد من المزرعة. كل الطريق الى هنا لم اشاهد ولداً».

فردت كوري من دون ان تنظر في عينيه:

«ارجو ان لا تكون انزعجت لاني دعيت الاولاد للسباحة».

«ولماذا انزعج ان كنت انت لا تنزعجين؟ انها حريتك انت التي تعطلت».

فنظرت اليه قائلة:

«ان الانسان لا يستطيع ان يتمتع بحريته طويلاً. بعد ظهر اليوم شعرت بفرح لم اعرفه منذ مجيئي الى هنا».

«هل تشعرين بالوحدة هنا؟».

سألها في صوت عال لتستطيع ان تسمعه لارتفاع اصوات الاولاد الذين استمروا في لعبتهم والتنازع على الكرة.

«أليس كل سجين يشعر بالوحدة».

قالت ذلك ملاحظة التغير في تعابير وجهه نتيجة مفاجأته بكلامها.

ولكنها لم تبال بل استدارت وغطست داخل البركة. بعد لحظات، عندما عادت الى سطح الماء وجدت ان غريغ اختفى وتساءلت في نفسها ان كان انزعج من كلامها. وقررت ان لا تبالي، هل هي في المزرعة غير سجينة؟ لا تستطيع ان تغادر المكان عندما تختار هي ذلك، حتى زوجات المزارعين يبدو انهن يتجنبنها، ولم يدعها احد للقاء. ولم تعرف ان كان ذلك من ترتيب غريغ نفسه او منهن.

بعد دقائق رأت غريغ في ثياب السباحة يغطس حيث غطست هي قبل فترة قصيرة. لاحظت في وجهه قبل ان يغطس ملامح تفكير لا غضب. واعجبت في جسمه الرياضي. وخلال لحظات كان يطفو على وجه الماء قربها ويقفز فوقه الاولاد مرحين ومازحين. وفكرت، ترى ماذا يعني لامرأة ان يحبها غريغ مايسون؟ وماذا كانت تشعر الآن لو كان زوجها الذي يلعب مع الاولاد هو زوجها فعلاً جسماً وروحاً؟

ابعدتها الافكار بعيداً وتركت نفسها تستند على المياه محاولة ان تريح جسمها واعصابها، ولكن انّى لافكارها ان ترتاح. شعرت ان روجر ما زال حبها الحقيقي وليس غريغ مايسون المتسلط، غير المساوم، الذي لا يقيم وزناً للعواطف الانسانية. رأيه في العلاقة بين الرجل والمرأة هي حيوانية بحتة، لا شيء يعطى ولا شيء يؤخذ ابعد من الجسم. وفيما هي تسترسل في افكارها، امتدت حول رجليها ايد قوية شدتها تحت مياه البركة. المفاجأة جعلتها لا تتمكن من التحسب فامتلأ فمها وانفها بالماء وما ان عادت الى سطح الماء حتى كادت تختنق واحاطت بغريغ قربها من اجل ان يتوقف عن المزاح لانها تكاد تختنق فعلاً. احاطها بذراعيه وحملها خارج البركة ووضعها على كرسي ممدود رافعاً رأسها الى الوراء.

«كوري؟ كوري؟ هل انت بخير؟».

جاءها صوت غريغ قلقاً. فتحت عينيها وظهر فيها الغضب.

«غريغ مايسون انت ابله». وتابعت متجاهلة قلقه عليها «والآن هؤلاء الاولاد سيقلدونك وسيبدأ كل واحد منهم في شد رفيقه تحت الماء».

نظر اليها غريغ باهتمام وهو جاثم الى جانبها. ثم وقف متوجهاً نحو الاولاد الذين ظهروا كلهم يتسارعون للخروج من البركة والاطمئنان الى كوري. فقال لهم:

«انتم شاهدتم نموذجاً لما لا يجب ان تفعلوه في بركة ماء. اذا رأيت احداً منكم يحاول عملاً مشيناً كهذا سوف اصفع مؤخرته، مفهوم؟».

بقي الكل صامتاً. فتابع غريغ مايسون:

«الآن، جففوا اجسامكم والبسوا ثيابكم واذهبوا الى بيوتكم ان امهاتكم لا بد تنتظرنكم على العشاء».

وبعدما غادر الاولاد المكان. ودخل بوبي الى البيت يغير ثيابه. سألته:

«ومن يصفع مؤخرتك انت على عمل سيء؟».

لم يجب غريغ فوراً. بل جلس الى جانبها على طرف الكرسي الممدود. شعره المبلل يتدلى على جبينه، وعيناه السوداوان مثل ولد ارتكب ذنباً. اجاب:

«اعتقد انك انت من يجب ان يقاصصني».

ومع ان ملامحه القاسية عادت الى وجهه الا انه تابع «اعتذر يا كوري لانني لم اتوقع ان تكوني سارحة بافكارك فلم تلاحظي اقترابي منك».

وبدا في كلامه بعض المرارة وشعرت كوري ببعض الذنب لانها بالواقع كانت تفكر بروجر. ومن اجل ان تضع حداً للعتاب بينهما قالت:

«بما اني لا احمل العصا التي بها اصفع قفا من يقوم بعمل سيء، سوف اسامحك».

وقامت من كرسيها الى البيت تتحداه مازحة:

«لنرَ من يسبق الآخر في الاستحمام وارتداء ثيابه».

وهما يركضان داخل البيت الى غرفهما، فكرت كم من المزاح عرف غريغ في حياته. وتمنت من قلبها ان يأتي يوم يعرف غريغ السعادة الحقيقية مع امرأة تملأ حياته القاسية المملة، فرحاً واثارة.

في المساء على طاولة العشاء قال لها غريغ:

«يبدو انك قدرت على ضبط الاولاد اليوم. كنت افكر ان كنت ترغبين في تعليمهم حتى باقي السنة الدراسية».

ولم تصدّق كوري ما تسمع. قفز الفرح من عينيها وهي تقول:

«طبعاً أرغب في ذلك. ان هذا اقصى ما اتمناه هنا».

فنظر اليها متعمداً الحيرة:

«يبدو انّ اقصى ما تتمنين، سهل تحقيقه. هل السبب في ذلك انك

تشعرين بالوحدة؟».

اعترفت كوري صادقة:

«انا لست معتادة على جعل اوقاتي خالية من اي انتاج. انتظر ساعات فارغة الى ان يأتي سيدي الى البيت. وعندما يأتي، يغلق على نفسه في مكتبه يعمل ويتركني وحيدة».

توقفت عن الاسترسال في الكلام وهي تشعر انها بالغت في الشكوى. فاجأها بجوابه:

«هل تفضلين ان امضي معك وقتاً اطول؟».

ارتبكت من سؤاله. التقت اعينهما وشعرت انهما مهما حاولا التقارب فإنّ مسافات روحية شاسعة تفصل بينهما. اجابت:

«كلا، بل اكون سعيدة ان امضيت طيلة النهار مع الاولاد. واعتقد انهم بحاجة الى ساعات دروس مكثفة بسبب ما اضاعوه من وقت. هل تعتقد ان امهاتهم يمانعن؟».

هزّ كتفيه مصحباً وقال:

«انت المعلمة. انت التي تقرره».

ووقف حاملاً فنجان القهوة يهم بالخروج به الى غرفة المكتبة وقال:

«في كل حال ستعرفين رأي الامهات غداً مساء. اعددن لك حفلة. رغبن في اللقاء السبت الماضي ولكنني اقترحت ان يؤجلن ذلك الى ان تعتادي على المزرعة».

قاطعته قائلة:

«او حتى استطيع ان العب دور زوجة السيد في اتقان؟».

وشعرت انها منزعجة لانه لم يخبرها عن رغبة زوجات المزارعين في لقائها وهي اعتقدت انهن يتجنبنها.

فقال لها:

«ربما هذا صحيح. في كل حال الامر ليس سهلاً بالنسبة اليّ».

وخرج من الغرفة مسرعاً وهي راحت تجتر كلماته. لم تفكر قبل الآن بصعوبة علاقتهما من زاويته هو. هو يختلط بأناس المزرعة ويسمع تعليقاتهم عن العريس الجديد ويتصرّف طبقاً لذلك. هي لم يكن عليها ان تواجه غير ايلين. وهذه الاخيرة اقتنعت فوراً بصدق زواج معلمها وكوري، ولم تكن

على كوري التصرف بصعوبة في مواجهتها.

ليلة السبت كان على كليهما مواجهة عمال المزرعة وزوجاتهم واتقان دور الزوجين السعيدين. في قاعة المدرسة اقيمت الحفلة. رفعت الطاولات والكراسي جانباً وزينت الجدران بالاوراق الملونة. احاط غريغ كوري بذراعه وقدمها الى الجموع قائلاً:

«اقدم لكم زوجتي». وتوقف قليلاً وكأنه توقع سلفاً تصفيق وتعليقات الشبان.

ثم تابع:

«كوري رغبت في لقائكم قبل الآن. ولكنني كنت انانياً لأني رغبت في ابقائها معي».

وجاءت التعليقات الضاحكة من هنا وهناك تضفي على اللقاء طابعاً حياً.

وعندما هدأ المزاح اضاف غريغ:

«ان كوري معلمة متخرجة حديثاً. ومع انني لم اكن ارغب ان تبتعد عني خلال النهار من اجل الاولاد، الا انها قلقة على سنتهم الدراسية وترغب في ان تتولى تدريسهم خلال المدة الباقية من السنة».

كلام غريغ اثار التصفيق من النساء والرجال الذين اظهروا تقديرهم لكوري لاهتمامها بمستقبل اولادهم. وفرحت كوري في رد فعل الحاضرين خصوصاً من جين ريبرن التي صفقت بحماس شديد.

ما ان انتظر حتى هدأ التصفيق وكلام الاعجاب ثم ادار اسطوانة موسيقية تستدعي الرقص من الجميع. وجاء احد الحاضرين يستأذن غريغ ويطلب من كوري ان ترقص معه. فسحب ذراعه من خاصرة كوري وابتسم لها مشجعاً اياها. ارتبكت في البداية الا انها ما لبثت ان تجاوبت في الرقص وهي ترى غريغ يراقبها من بعيد. وتذكرت لحظة زواجها وعينيه السوداوين تشجعانها على اتمام ما اتفقا عليه. وشعرت انه لولا ثقته بنفسه لما تمكنت من الاستمرار معه.

رجل خلف آخر راح يراقص كوري. وعندما شعرت بالتعب ادركت انها رقصت مع كل الرجال الحاضرين. واخيراً دعي الجميع للاستراحة وللانتقال الى الطعام. ووجدت كوري فرصتها للتحدث مع النساء اللواتي

اعددن الطعام.

قالت لهن وهن يتحلقن حول طاولة ملأى بالطعام:

«لا بد انكن عملتن بجد وتعب. غريغ وانا نشكر لكن اهتمامكن بنا».

وجاء الجواب من احداهن اذ قالت مبتسمة:

«انه ليشرفنا ذلك يا كوري». واضافت وهي تنظر الى تفاصيل وجه كوري وثيابها الانيقة:

«الآن نحن نفهم لماذا خطفك غريغ من فانكوفر واراد اخفاءك في البيت الكبير. علينا الآن ان نربط رجالنا على عتبة البيت لنمنعهم من اللحاق بك».

ضحكت كوري خجلاً ولكن جين ريبرن انقذتها عندما قالت بسخرية:

«ولماذا تهتم كوري بزوجك طوم في حين هي متزوجة من غريغ مايسون. انه شخص كلنا كنا نتمنى ان نحظى به».

ومع ان النكات استمرت من هنا وهناك. التفتت جين الى كوري وقالت:

«انا ارتحت جداً عندما علمت انك ستتولين التدريس الآن في المدرسة. غريغ لم يخبرنا انك معلمة».

ابتسمت كوري وقالت:

«بالحقيقة، هو لم يرغب في ان اعمل هكذا بسرعة بعد زواجنا».

جاءها تعليق المرأة الاولى:

«انهم كلهم هكذا في البداية يا عزيزتي. ولكن انتظري سنة حتى يحضر الاولاد من بعدها سيفضل السهر مع رفاقه الشباب ولعب الورق على البقاء في البيت».

علقت اخرى.

«اصمتي يا شيري، اذا كنت انت لا تستطيعين ابقاء زوجك في البيت ليلاً هذا لا يعني ان غريغ...».

وجاء صوت غريغ يقاطعهن:

«أريد ان اسرق زوجتي منكن قليلاً. وارقص معها لاول مرة... هذه الليلة».

وسحبها بنعومة الى حلبة الرقص. وفكرت كوري أنّ السوة لم يلاحظن توقفه قليلاً قبل ان يضيف كلمة هذه الليلة. انهما لم يرقصا معاً ابداً وهذه اول رقصة لهما منذ حفلة زفافهما.

ارتبكت كوري بين ذراعي غريغ في اللحظات الأولى الآ انها ما لبثت ان شعرت بارتياح بين ذراعيه وخطواته الواثقة. قربها منه كثيراً فتمكنت من شم رائحة العطر الذي وضعه بعد الحلاقة ورائحة السيكار الذي دخنه قبل ان يحضرا الى الحفلة. ومع انه وضع خده على خدها الا انها اعتبرت ذلك ليس اكثر من مظاهر تجعل الآخرين يراقبونهما يرقصان معاً بحميمية. ومع ذلك سألته:

«هل ستفعل مثلما قالوا؟»

رفع رأسه ونظر اليها وهما يتابعان الرقص، وقال:

«افعل ماذا؟».

«ستقضي السهر مع رفاقك الشباب ولعب الورق على البقاء في البيت عندما تتعب زوجتك»

ابتسم وقال:

«ان الامر يعود للزوجة وتصرفاتها».

ثم تابع:

«ان كنت تتكلمين عما قالته شيري، فهي وزوجها بوب يواجهان مشاكل منذ تزوجا. مشاكل لا اعتقد اني سأدعها تدخل في حياتي الزوجية».

«ولكن كيف يمكن لاثنين يتزوجان ان يكونا واثقين من نجاح زواجهما؟».

«عبر عدم النظر الى بعضهما في منظار رومانسي».

قال ذلك وبدا انه ارتاح لصوت الموسيقى يتوقف ويعلن انتهاء الرقصة.

وفيما هما يعودان من السهرة التي اقيمت على شرفهما، وفي الجناح الذي يشتركان في النوم فيه من دون ان يلتقيا، كانت كوري شاردة. وحتى وهي تخلع ثيابها في غرفة النوم الوثيرة راحت تفكر ايضاً وتتساءل: ترى ما الذي جعل غريغ ينفر من الحب الرومانسي؟

أسابيع ثلاثة مرت على كوري اسرع من اي وقت سابق. اسبوعان في

انتهاء السنة الدراسية واسبوع ثالث لتصفية الحسابات والتفاهم مع اهالي التلاميذ عن نتائج اولادهم.

تعليم صف من اربعة عشر تلميذاً من النظرة الاولى هو حلم كل معلمة. ولكن كوري ما لبثت ان اكتشفت ان اختلاف الاعمار بين التلاميذ يشكل عائقا كبيراً امامها. اذ كيف يمكن تعليم صف، فيه كل تلميذين او ثلاثة من مستوى دراسي مختلف.

جيسون، الولد الهادئ المهذب المؤهل للانتقال الى الصفوف الثانوية في مدرسة داخلية في ايلول المقبل، عمل على انفراد بالفروض التي كانت تطلبها منه. ولكن الاولاد الاصغر سناً كانوا مشكلة. اذ اي اهتمام تصبه على مجموعة من مستوى واحد دون الآخرين تجعل هؤلاء سريعي التهور

بعد ثلاثة ايام من التعليم، وعلى طاولة الغداء، لاحظ غريغ غضينة التفكير بين حاجبي كوري. سألها:

«هل ثمة شيء يزعجك؟»

«ماذا؟ آه، كلا... بل نعم. يوجد شيء يزعجني».

وشرحت له المشكلة التي تواجهها في صف متعدد المستويات. فابدى اهتماماً شديداً فاجأها، خصوصاً وانها خافت ان يعتبر مشكلتها سخفاً منها او عدم كفاءة. قال لها:

«يمكنك ان تفصلي التلاميذ حسب مستوياتهم. لماذا لا تستعملي بيت المعلمة الفارغ الملاصق للمدرسة للاولاد الاكبر نسبياً ليعملوا وحدهم بعدما تحددي لهم ماذا عليهم تحضيره؟ واعتقد أنّ الصغار يحتاجون الى تركيز منك من اجل ضبطهم اكثر من الآخرين».

«هل استطيع فعلا ان استعمل بيت المعلمة؟».

«طبعاً ولم لا؟ جربي ذلك ليوم او يومين فترى النتيجة».

«غريغ انت عبقري لماذا لم يخطر ذلك في بالي؟».

«كان سيخطر ذلك في بالك».

ووقف وفي يده فنجان القهوة يشرب آخر قطراته مثلما يفعل عادة قبل ان يمضي الى مكتبه. ولكنه تلك الليلة فاجأها اذ قال:

«هل تحبين ان تستمعي الى بعض الموسيقى في غرفة الجلوس؟ عندي

بعض اسطوانات ماريزا ان كنت ترغبين فيها».

«طبعاً، احب ذلك. انا اعشق طريقتها في العزف».

«نعم، . . . انها موهوبة».

جلست كوري على طرف المقعد الطويل في غرفة الجلوس وفي يدها كأس فيه سائل مهضم. وادار غريغ اسطوانة، وارتفع عزف البيانو، مقطوعة لشوبان تملأ الغرفة. كوري انتقلت فوراً بافكارها الى قاعة الموسيقى الضخمة في فانكوفر حيث رأت واستمعت الى ماريزا مايسون تعزف على بيانو ضخم. تكاد تراها الآن بشعرها الاسود الطويل جالسة الى البيانو في غرفة الجلوس تمرر اصابعها على البيانو. لا عجب ان كان غريغ . . . وارتفعت بعينيها نحو غريغ تراقب ملامحه تحت ضوء خفيف منعكس على وجهه. وفوجئت بان ظهرت فيه قساوة اكثر مما كان عليه قبل ادارة الاسطوانة. فكه مشدود وفمه مضغوط، وعيناه السوداوان خاليتان من اي بريق عاطفي. وشعرت كوري بمشاعرها تبرد منذما اكد لها حدسها ان ماريزا مايسون هي في جذور نفور غريغ من الحب الرومانسي.

شعرت بشفقة غير متوقعة تسري فيها مثل موجة قوية جعلتها تسحب نظرها منه نحو سواد النافذة الكبيرة في آخر الغرفة. اولا لانه علق بحب امرأة شقيقه، وثانياً، وبعد وفاة شقيقه، لا يستطيع ان يأخذها الى جانبه لانه لا يستطيع ان يدفن مواهبها في المزرعة النائية. وتساءلت: هل دعوى الحضانة التي يريد غريغ ان يرفعها هي طريقة لتأكيد مجيء ماريزا الى المزرعة على الاقل للزيارة؟

«غريغ، من بعد اذنك. اريد ان اذهب الى سريري وانام».

قالت بسرعة، ووقفت فيما موسيقى شوبان تعلو في مقاطع ناعمة. وتابعت:

«لا، لا تقف من اجلي. سأراك غداً. تصبح على خير».

ولم تنتظر ان تسمع تعليقاً منه، بل غادرت الغرفة بسرعة وهي تشعر ان عيني غريغ تتابعانها من الخلف.

اقتراح غريغ في توزيع التلاميذ حسب الاعمار اعطى نتيجة جيدة جداً، مع العلم ان الصغار انزعجوا في البداية من انتزاعها المركز منهم، الا انهم ما لبثوا ان اعتادوا الطريقة الجديدة وصاروا اكثر اهتماماً بما

يدرسون.

جايسون، كلفت مراقبة مجموعة من الاولاد اصغر منه في البيت المفرد. ذكاؤه وسرعة استيعابه المواد التي يدرسها وثقته فيها، جعلت كوري تتمنى ان تمضي وقتاً اطول معه. ولكن النهار طويل ومكثف وعليها ان تأخذ الدفاتر لتصححها في البيت خلال المساء.

في احدى تلك الامسيات. بينما كانت كوري تجلس على مقعد بات مفضلاً لديها في غرفة الجلوس، منكبة على تصحيح واجبات الاولاد في دفاتر على ركبتيها. دخل غريغ لاستراحة قصيرة من عمله في اوراقه الخاصة في مكتبه. قال لها:

«ثمة مكتب ثان في غرفة المكتب تستطيعين ان تجلسي اليه تصححي الدفاتر ان شئت».

«الا يزعجك ان اكون معك في غرفة المكتب؟».

قالت وهي ترفع رأسها تنظر اليه. وفوجئت لابتسامة في وجهه المرتاح قائلاً:

«اذا انزعجت سوف ابلغك ذلك».

طبعاً، فكرت كوري، انه لا يسكت عن شيء يزعجه. تبعته عبر الممرات نحو غرفة المكتب تلك. الغرفة التي لم تدخلها الا مرات قليلة منذ ان حضرت الى المزرعة. الغرفة دافئة وعميقة، مضاءة جيداً، ولكن بنى وهندسة جعلت الغرفة تميل الى لون زهري بما فيها الكتب التي تملأ الحائط.

وفوجئت كوري بنوعية الكتب الموجودة على رفوف الجدران وكذلك نوعيتها اذ انها تتراوح بين احدث المؤلفات وتلك التي تتعلق بانماء المزارع.

ساعدها غريغ بحمل دفاترها ثم اعدّ لها المكتب قرب النافذة الذي بدا اصغر من مكتبه قليلاً.

«هل يزعجك السيكار الذي ادخنه؟».

«كلا، ابداً، بل تعجبني رائحته».

قالت ذلك بصدق وهي تعلم جيداً انها عندما ستغادر مزرعة مايسون نهائياً، ستبقى رائحة السيكار كلما هبت في اي مكان تذكرها بغريغ دائماً وابداً.

حيث كانت تجلس، يستطيع غريغ ان يراقبها مباشرة في حين هي عليها ان تدير رأسها لتراقبه. هذا الوضع ازعجها اولاً بحيث جعلت شعر رأسها ينسدل على وجهها مثل ستار. ولكن بعدما استغرقت في عملها رفعت شعرها بيديها وازاحته خلف اذنيها. ولم تلاحظ الخاتم الذهبي ذا حبة الماس الذي وضعه غريغ في بنصرها علامة الزواج، وبه كانت تتذكر دائماً زواجها الباطل. نسيته تماماً في اصبعها وما عاد يذكرها بشيء. اعتادت الجلوس معه في غرفة المكتب ونما بينها شعور بالالفة خلال ساعات العمل المنفرد في الغرفة خلال المساء. مع العلم أنَّ كوري كانت تحذر من ازعاجه بالمزاح عندما ترى حاجبيه متعقدين اثناء الكتابة على بعض الاوراق والملفات.

في احدى الليالي، كانت تقرأ موضوع انشاء كتبه جايسون ولم تتمكن من اخفاء شهقة إعجاب. سألها غريغ:

«ماذا هنالك؟»

«آه، انه موضوع انشاء كتبه جايسون»

«هل الموضوع سيء؟»

«كلا، بل جيد جداً. هذا الصبي موهوب جداً يا غريغ. يستطيع ان يبحر بعيداً في العلم».

«هل اخالف القوانين ان اطلعت عليه؟».

ابتسمت وادعت التردد قليلاً. ثم قامت من مكانها وبيدها الدفتر قائلة:

«اعتقد أنَّ جايسون يسر جداً ان علم انك قرأت موضوعه».

ولمع الحماس في وجهها وانحنت تضع الدفتر امام غريغ على المكتب وشعرها يلمس بنعومة احدى وجنتي غريغ. ابتعدت لتراقب رد فعله وهو يقرأ ما كتب الصبي. واخيراً عندما انتهى من القراءة سألت بعد نفاد صبرها من صمته:

«حسناً، ما رأيك؟».

«جيد. بل جيد جداً، ولكن يا كوري...».

ورفع رأسه ينظر اليها في تعبير قلق وتابع:

«لا تذهبي بعيداً في انفعالاتك انَّ موهبة جايسون قد تكون عائقاً

امامه».

ولم تفهم ماذا يقصد. فقالت:

«هل تعني بالعائق انه هندي؟».

«نعم».

وشعرت بغضب جعل وجهها يحمر فأسرع يقول:

«لا تقفزي الى استنتاج خاطىء. انا لست عنصرياً او احاسب جايسون على انه هندي. انا حاولت جاهداً مع اهل جايسون ان يتابع دراسته خارج المزرعة ولكن انظري الى الموضوع من وجهة نظر اهل جايسون وحتى جايسون».

ووقف غريغ وتابع:

«يذهب الى المدرسة في المدينة ثم الى الجامعة ثم ماذا يحدث عندما يعود يا كوري؟ ماذا يفعل لأناس ما عاد يجمعه بهم اي عامل مشترك؟ تستطيعين ان تعرفي مما كتبه هنا انه يحب قريته ويحب طريقة عيش اهله. هنا هو المكان الذي يجب ان يعيش وليس المدينة القاسية تحت قدميه».

شعرت كوري بثقل كلامه ووقفته الباردة قربها. قالت تدافع عن وجهة نظرها:

«ولكنه يستطيع ان يساعد اهله عبر الكتابة... مثل هذه... عن الاشياء المهمة لديهم».

«يستطيع ان يفعل ذلك من هنا من هذه الامكنة عوضاً عن الذهاب بعيداً».

وبتصرف غير متوقع رفع كلتا يديه واحاط بهما وجهها ورفع رأسها نحوه بحيث تلاقت اعينهما عن قرب. وقال:

«انا آسف جداً لأنك لن تكوني هنا عندما يتقدم جايسون. تستطيعين ان تساعديه كثيراً في انماء مواهبه».

ثم سحب يديه وصمت قليلاً ثم قال:

«الوقت اصبح متأخراً يا كوري. لنذهب للنوم».

الطريقة التي دعاها للنوم جعلتها تشعر وكأنهما زوجان يعيشان حياة زوجية طبيعية. وهذا جعل علاقتهما تبدو اكثر حميمية من السابق وهو امر افرحها. وعندما ابعدت عينيها وراحت تجمع الدفاتر عن مكتبها شعرت

ان وجهها تمتقع خجلاً.

ان قناعة غريغ بالعلاقة بين الرجل والمرأة تعاكس تماماً اقتناعها هي. اذن لماذا تشعر بنبضاتها تخفق وهي تتبعه عبر الممرات خارج المكتب؟ هل نبضاتها تثبت لها وجهة نظره في ان الجاذب الجسدي وحده كافٍ بين اثنين؟

٦ـ أنت لست المستقبل

«يا عمي غريغ، هل ستأخذ قصبة صيد لكوري ايضاً؟».

سأل بوبي من اسفل السلالم في البيت الكبير. غريغ التفت الى الخلف وأجاب وهو ينظر الى كوري الخارجة للتو من المطبخ وفي يدها سلة مأكولات.

«اذا كانت ترغب في ذلك، طبعاً نأخذ قصبة ثالثة».

ابتسمت كوري محافظة على روحية المغامرة التي تصاعدت منذ الصباح في يوم سبت، قالت:

«لم اذهب في رحلة صيد سمك من قبل ولكن احب ان اجرب».

ايلين، العاملة في البيت، ذهبت في اجازة يومين الى بيت والدتها المسن في قرية تبعد خمسة اميال. شعرت كوري بفرح وهي تعد طعام الفطور في

الصباح للثلاثة معاً، ثم في تحضير سلة المأكولات لرحلة الصيد. انزلت من الثلاجة قطع دجاج مجلدة للرحلة، وقطعتي لحم مجلدة ايضاً من اجل طعام العشاء لدى عودتهما في المساء.

«تحتاجين الى قبعة».

قال لها غريغ وهو يعود من الجهة الخلفية من البيت حاملاً قصبة صيد ثالثة، وملاحظاً شعرها العاري المقصوص الى الخلف. واضاف:

«ان الشمس تصبح حادة جداً وسط البحيرة».

ارتدى كريغ قبعة خفيفة حمراء اللون، وبدا مرتاحاً في قميص بيضاء وسروال قطني رياضي.

اجابته:

«لا يوجد عندي قبعة. ولكني مؤخراً اعتدت على الشمس. ولا اظن انها ستزعجني».

«يجب ان تضعي شيئاً على رأسك. واظن ان اي قبعة من عندي ستكون واسعة جداً على رأسك... يا بوبي، هل عندك قبعة يمكن ان تعيرها لكوري؟».

قفز بوبي من مكانه موافقاً ودخل الى البيت مسرعاً. افرحه ان يكون ذا فائدة للمرأة التي لم يرحب بها عندما حضرت الى المزرعة ولكنها ما لبثت ان اصبحت اكثر الموجودين في المزرعة شعبية لكونها احسن معلمة مرت على المدرسة منذ زمن بعيد، وهو امر جعل رفاق بوبي يحسدونه على امرأة عمه الجديدة. عاد بوبي من غرفته راكضاً وناول كوري قبعة بيضاء لاءمت رأسها جيداً. سيارة اللاندروفر امتلأت بالاغراض المتنوعة.

واخيراً تحركت السيارة بهم. ولم تشعر كوري بالانزعاج من الطريق الوعرة، مثل ذلك الذي عرفته في اول يوم من وصولها الى المزرعة. ومع كل دقيقة، كانت البحيرة تقترب منهم وتتسع، يزداد فرح الثلاثة لامتداد النهار.

فور وصولهم، انهمك غريغ وبوبي في سحب زورق من كوخ جانب البحيرة، في حين قامت كوري باكتشاف الشاطئ، الصف حولها الاشجار ظللت الشاطئ الرملي ومنعت تسرب اشعة الشمس من السماء الزرقاء الصافية. وفكرت كوري ان المكان جنة صغيرة

«هل تأتين لصيد السمك معنا؟ ام ترغبين في البقاء حيث انت مع الاحلام؟».

جاءها صوت غريغ قاطعاً الصمت:

«طبعاً سآتي للصيد».

ركضت على الرمال نحو الزورق لتنضم الى غريغ وبوبي. افرحها غياب تحرك في الزورق. لا شيء يقطع سكون المكان وهدوءه غير خرير الماء تحت المجذافين اللذين بهما حرك غريغ الزورق الى عرض البحيرة واوقفه هناك.

بوبي اخذ صنارته ورماها في البحيرة، في حين غريغ اخذ صنارة كوري وأراها كيف تقذفها الى الماء ثم سلّمها اياها ليعد هو صنارته. وتبدأ مرحلة الانتظار لسمك يعلق في الطعم.

الصمت خيم على الثلاثة. ولا حتى بوبي تحدث بشيء. كوري استرخت وما كانت تعلق بين النوم واليقظة حتى كادت تسقط القصبة من يدها نتيجة ثقل في الصنارة. صرخت للمفاجأة. اسرع غريغ بالتعليمات:

«حافظي على القصبة واديري الحلقة بثبات».

نظرت اليه كوري بعينين حائرتين محاولة تلبية التعليمات من دون ان تفلح. فقام غريغ وثبت قصبته على طرف الزورق. ثم قال لبوبي ان يأخذ مكانه ليجلس هو قرب كوري ويساعدها واحاط غريغ بكوري ومد ذراعه حول عنقها ليمسك هو ايضاً بالقصبة يساعدها في ادارة الحلقة.

تابع بوبي عملية سحب السمكة بعينين محدقتين وغريغ تابع يساعد كوري على الرغم من حيرتها:

«استمري في السحب. هل تشعرين بالسمكة تشد الى الاسفل؟»

هزت برأسها موافقة فتابع:

«ها هي، ظهرت اخيراً. كم هي جميلة».

«نعم، نعم وكبيرة ايضاً».

ردت كوري بحماس شديد، ثم التصقت بصدر غريغ قائلة:

«ارجوك يا غريغ تابع انت العملية. انها تقفز في شكل مخيف».
«كلا. تابعي انت. ها هي تصل الينا... واخيراً... انها هنا في الزورق».
ضحكت كوري وهي تنظر الى السمكة تلمع في عينيها. ونظرت الى وجه غريغ على بعد سنتمترات منها يتجاوب معها في ضحكة مزغردة وعلق بوبي:
«انها كبيرة جداً، انت صائدة سمك ماهرة يا كوري».
رد غريغ:
«انه الحظ لدى كل مبتدئ».
ولف السمكة بالورق الفضي ووضعها على كرسيه وعاد يجلس حيث كان في البداية واعاد بوبي الى مقعده بينه وبين كوري وعاد الهدوء يخيم على الثلاثة تقطعه ملاحظات بوبي السعيد بالسمكة الكبيرة ويطعمها تحت اضراسه منتظراً بحين موعد اكلها.
اصطاد بوبي سمكة صغيرة وغريغ اصطاد سمكتين الواحدة في حجم اصغر قليلاً من سمكة كوري. وحان موعد الغداء فانتقل الثلاثة بزورقهم الى الشاطىء. غريغ تولى تنظيف السمك، وكوري تولت تحضير الطعام تحت ظل شجرة.
«ليتنا لم نحضر طعاماً معنا». قال غريغ بعدما التحق بكوري وبوبي على البساط المفروش على الرمل، «كنا شوينا السمك هنا واكلناه».
ردت كوري:
«بل افضل الدجاج الذي احضرناه».
فقال غريغ:
«لا شيء الذ من سمك البحيرة الطازج. سوف اعده غداً».
وبعدما انتهوا من طعام الغداء، ووضعوا في السلة ما تبقى، استرخى غريغ على البساط. سأل بوبي:
«هل نذهب نصطاد ايضاً؟».
«كلا» اجابه غريغ «الآن موعد استراحة القيلولة».
وشد غريغ بوبي الى جانبه وتمددا معاً. وانزل غريغ القبعة على وجهه وبعد لحظات استغرق في النوم. راقبتهما كوري وادركت ان الرجل

والصبي استسلما للرقاد. لاحظت ذبابة تحوم فوقهما فابعدتها. ووجدت لنفسها مكاناً على البساط. وتمددت محدقة في السماء الزرقاء فوق. واطلقت الافكار بعيداً.
في المساء على طريق العودة، وعلى الرغم من كون بوبي نام وقتاً طويلاً، بقيت عيناه ثقيلتين حتى وصولها الى البيت في السادسة مساء.
قالت كوري:
«كنت اخطط ان نتناول طعام العشاء ثلاثتنا. ولكن لا يبدو بوبي قادراً على السهر اكثر».
فرد غريغ:
«اعطه عشاء خفيفاً. غداؤه كان كافياً. ولا اظن ان القليل من الطعام في المساء سيؤذيه».
فاعدت كوري لبوبي صحن شوربا راح يشربه مع خبز محمص، في حين اشترك كوري وغريغ في قلي قطعتي لحم وشي القليل من قروص البطاطا في الفرن. وما ان انتهى بوبي من الشوربا حتى اخذته كوري الى غرفة نومه في الطبقة الثانية لأول مرة.
في السابق كانت تجولت في الغرف في سرعة ولاحظت غرفة بوبي المرتبة والملأى بالاشياء الطفولية والمطلة على النهر والسهل. الآن وجدت الغرفة فوضوية لغياب ايلين عن البيت.
«آه يا بوبي، كيف استطعت ان تترك غرفتك من دون ترتيب هكذا؟!».
ثم خففت من استهجانها للتعب البادي على وجه الصغير. «اذهب الى الحمام للاغتسال وانا سارتب سريرك. هل تريدني ان افتح لك حنفية الماء واجعلها فاترة؟».
«نعم يا كوري، ارجوك».
«احضر بيجاما نظيفة واتبعني».
وذهبت الى الحمام تفتح الماء لتجعله فاتراً. وعادت لترى بوبي يرتب سريره كيفما كان ليرضي كوري. ابتسمت كوري «يا للمسكين» قالت لنفسها. كم يحتاج الى ام ترعاه. وتعجبت كيف يمكن لأم ان تترك ولداً طيباً مثل بوبي تحت رعاية عمه العازب. تولت ترتيب السرير والغرفة في حين بوبي ذهب يغتسل. وقعت عيناها على صورة فوتوغرافية الى جانب

السرير. فرفعتها لتنظر اليها عن قرب. المرأة الجميلة في الصورة، لا بد انها ماريزا مايسون. اما الرجل الى جانبها فلا يبدو انه يشبه غريغ. هو اشقر الشعر وازرق العينين ولكن مع ذلك لاحظت بعض التشابه في الملامح.

وعاد بوبي من الحمام. ساعدته في ارتداء بيجامته. وسألته:

«من في الصورة يا بوبي؟».

«امي و. . . ابي». اجاب والنعاس في عينيه. وما لبث ان قال: «ظننت انك شاهدت امي سابقاً تعرفـ».

«نعم، نعم، شاهدتها. ولكنني لم ار صورة لوالدك من قبل».

«مات وكان عمري سنتين. اتذكره فقط عندما انظر الى الصورة». ثم تابع: «هل تقرأين لي قصة حتى انام؟».

«احب ذلك يا بوبي. ولكن عليّ ان اذهب الى عمك غريغ لاعداد العشاء. يسرني ان افعل ذلك في ليلة تالية».

«لا بأس. عمي غريغ كان يقرأ لي في الماضي. الآن ما عاد عنده وقت لي».

وادخلت كوري بوبي في السرير وغطته. ومررت يدها على شعره الاسود وجبينه وقالت:

«مجيئي الى هنا غيّر اشياء كثيرة كانت تسرك، اليس كذلك يا بوبي؟».

اجاب:

«آه، كلا يا كوري. انا سعيد لان عمي غريغ تزوجك. . . انت طيبة. . . وحلوة. . .».

واذ بغريغ يقاطعه بحضوره الفارع على باب الغرفة.

«آن الاوان لتغرق في النوم يا ولد».

فاستسلم بوبي لطلب عمه.

وعندما خرجت كوري من الغرفة برفقة غريغ اخبرته:

«طلب مني ان اقرأ له قصة».

ونظرت اليه تقرأ تعابير مريحة على وجهه واضافت

«هل تمانع ان قرأت له قصصاً في المستقبل؟».

«كلا، اطلاقاً. انت يمكن ان تقومي بالمهمة احسن مني».

«انا اشك في ذلك. اظن ان بوبي يحتاج الى رعاية اكثر حناناً».

ولمحاولة ابعاد اي فكرة خاطئة قد تطرأ له في انه لا يعطيه الحنان الكافي، قالت:

«أقصد حنان الام. ان امه بعيدة. وعلى الرغم من ان ايلين جيدة الا انها لا تستطيع ان تتفرّغ له. انها مشغولة باشياء كثيرة».

وافقها قائلاً:

«هذا صحيح». ونظر اليها وهو يضيف:

«انا اكون سعيداً جداً لأي رعاية يمكن ان تقدميها له».

في المطبخ وفيما كوري تتابع اعداد طعام العشاء. اخذها التفكير بعيداً. بوبي يحتاج الى امه وليس الى زوجة عمه التي هي زوجة غير حقيقية.

وعندما حملت الشرائح المقلية جيداً، الى طاولة الطعام حيث كان غريغ جالساً. قال لها:

«لم اكن اعرف انك تحسنين الطبخ».

وما ان جلست هي قبالته واستعدت لتسكب في الصحون قالت له:

«ثمة اشياء كثيرة تجهلها عني. انا لم اعش طيلة عمري عند صهري الغني».

«هذا صحيح. هل تقولين لي اين عشت؟».

ابتسمت ودعته الى تناول الطعام لتروي له قصتها:

«والدي كان يعمل في المحاسبة. . . كان ناجحاً ولكنه لم يكن يطمح للمال او للسلطة. اشتغل في حسابات مصرف صهري هاورد. هكذا تم التعارف بين هاورد وشقيقتي. هي كانت تساعد والدي في المحاسبة ايضاً. بعد زواجهما بفترة قصيرة، مرض والدي واحتاج الى رعاية شديدة. كانت امي تهتم به في حين انا اتولى شؤون المنزل، وطهي الطعام».

«الم تذهبي الى الجامعة؟».

«في تلك الفترة تركت الجامعة مدة سنة. ولكن الح صهري على مساعدة اهلي مالياً وتمكينهما من التقاعد في بلدتهما في ولاية اريزونا. وهو ساعد ايضاً في تكملة دراستي في الجامعة والسكن في غرفة مرفهة في الجامعة. في المقابل، ساعدت هاورد في العلاقات العامة مع زبائنه. اي في تسلية رواد حفلاته». وابتسمت وهي تضيف «بما فيهم انت. ان دورين كانت دائماً تأمل ان الغني يزيون غني من زبائن البنك ونتزوج».

غريغ بقي صامتاً لفترة قصيرة. راح يمضغ بهدوء ثم قال:
«واين موقع روجر من هذا كله؟».
«روجر؟».
سألت مستغربة وهي تحدق في الصحن امامها. واضافت:
«لا موقع له في محيط هاورد. دوريني كانت اسعد انسانة في العالم عندما انفصمت الخطوبة. كانت تريد رجلاً اغنى واهم لي».
«ولكنك انت اردت ان تثبتي ان اي شخص عادي، مثل والدك، يلائمك تماماً».
«ربما... لا اعرف».
كان جوابها بطيئاً ومترجحاً. قال:
«حسناً، لنأكل الطعام الشهي امامنا. هو جيد جداً والالذ ان يؤكل ساخناً».
وساد الصمت وهما ينهيان الطعام امامهما. ورن الهاتف في القاعة المجاورة فقام غريغ يرد على المخابرة في حين كوري قامت تعد القهوة. عندما عادت مع القهوة الى غرفة الجلوس سمعته يقول على الهاتف:
«سأسأل كوري، لحظة من فضلك يا بيل».
وحضر غريغ الى غرفة الجلوس يسأل كوري:
«اصدقاء لي، بيل وجوديت انفرسون يحتفلان بعيد زواجهما السادس في عطلة نهاية الاسبوع المقبل. وهما يدعواننا للذهاب اليهم. هل ترغبين في ذلك؟».
«اين هو المكان؟».
«لا يبعد كثيراً عن البلدة وليس ليلك نستطيع ان ندمج الزيارة مع رحلة شراء حاجيات ان كنت ترغبين في اي شيء».
«نعم، احب ذلك. واحب ان التقي باصدقائك ايضاً».
وقبل ان يعود الى الهاتف قال لها مترددا:
«ان الموضوع يعني انا سنقضي يومين نهاية الاسبوع هناك».
«هل يستطيع بوبي ان يحضر؟».
«طبعاً. عندهم ولد في الخامسة من العمر. وهم يتوقعون ان يحضر بوبي ايضاً».

«حسناً. اعتقد ان ايفلين تستطيع ان تلعب في عطلة نهاية الأسبوع عند والديها ايضاً».

على الهاتف سمعته يقول:

«يا بيل، نعم ان كوري تحب ان تلتقي بكما. انها تعلّم في المدرسة هنا وتنتهي من السنة الدراسية قبل نهاية الأسبوع المقبل، وهكذا...».

لم تستمع الى باقي المحادثة وهي تسكب القهوة في الفناجين. احتلتها الافكار بعيداً. لم تصدق انها في المزرعة منذ خمسة اسابيع. وان الاسبوع المقبل سيكون آخر اسبوع لها في التعليم. هي بدأت تتعلّق عاطفياً باطفال المزرعة. ومع انها ستكون ما تزال في المزرعة عندما تبدأ السنة الدراسية المقبلة الا ان غريغ اتفق مع معلمة شابة مع زوجها الذي سيعمل في المزرعة ايضاً. وسيقيمان في البيت الصغير الجميل قرب المدرسة وربما يجلسان معاً في باحته الخارجية يراقبان هبوط المساء وفي الوقت الذي سيلفّ الثلج تكون كوري عادت الى فانكوفر تأسيها ذكريات المزرعة وكأنها حلم وليست واقعاً.

«اعتقد انك ستعجبين بعائلة اندرسون».

جاءها كلام غريغ من الخلف يقاطع حبل افكارها ويتناول فنجان القهوة.

«هل تعرفهم منذ زمن بعيد؟».

«كنا رفاق الصف الواحد في المدرسة ثم الجامعة. انا كنت عرّاب زواجهما وعرّاب ابنهما البكر».

«يبدو انهما زوجان ناجحان».

«نعم، جداً».

وأرادت ان تعلق على الموضوع من زاوية جديدة. قالت:

«اذاً هما يثبتان نظريتي في الحب الرومانسي؟».

نظر اليها باستغراب وبرود وقال:

«انهما الشواذ الذي يثبت القاعدة».

نهاية الاسبوع اقتربت. وقاد غريغ الطائرة بكوري وجوي الى بلدة وليمس ليك حيث استأجروا سيارة وامضوا النهار في التسوق، وقامت كوري بشراء بعض الحاجيات الخاصة وكذلك هدية لمضيفيهم: طاقماً من اكواب

وجاج الكريستال.

منزل عائلة اندرسون يقع على طرف بحيرة صغيرة. مبني على الطراز القديم ومفعم بالحب العائلي. وفوجئت كوري عندما رأت جوديت حاملاً بالولد الثالث.

علّقت جوديت على الموضوع ضاحكة:

«أليس مضحكاً ان تدعو الى حفلة وانا في هذا الوضع؟ ان بيل قال انه سيطلقني ان لم انجب له ابنة. ففكرت ان افعل شيئاً قبل فوات الاوان».

فاجابت كوري ضاحكة ايضاً:

«ظننت ان رجال المزارع يرغبون في صبيان اكثر من البنات».

«هذا صحيح ولكن بيل يقول ان صبيين يكفيان لمكان ضيق مثل بيتنا».

والتفتت الى غريغ واضافت:

«والآن جاء دورك يا غريغ، انت تحتاج الى ستة صبيان على الاقل حتى تملأ بيتك الكبير. انتهى الموضوع يا كوري».

شعرت كوري ان غريغ لاحظ خجلها فعلق منقذاً:

«اعتقد ان اربعة صبيان يكفي».

واحاط ذراعه بكتفي كوري وقال:

«لا احب ان ينافسني اولادي في اخذ اهتمام زوجتي».

ضحك بيل وقال:

«هذه حكمة جيدة. انا حتى مع ولدين لا استطيع ان احصل على وقت من جوديت تلتفت فيه الي».

واخيراً قالت جوديت:

«ان الموضوع تعقد كثيراً هكذا ودخل في التفاصيل».

والتفتت الى كوري قائلة:

«تعالي معي الى الطبقة العليا لاريك غرفتك. ان غريغ يعرفها منذ زمن بعيد، ولا اظنه يحتاج الى ان يصعد ليراها».

شعور بالارتباك بدأ ينتابها وهي تتبع جوديت نحو الغرفة. شعرت انها بلهاء لانها اعتقدت انه سيكون لها غرفة مستقلة. الا عندما رأت سريراً منفرداً ادركت ان عليها ان تشارك غريغ فيه لانهما في نظر الآخرين زوجان سعيدان.

واعتذرت جوديت على حجم السرير.

«ليس كبيراً جداً. ولكن اهلي اخذوا الغرفة المجاورة مع سريرين منفصلين. على كل حال لا اظن ان عريسين متزوجين حديثاً سيتضايقان من سرير ضيق».

«كلا، طبعاً».

اجابت كوري محاولة ان ترسم الابتسام على وجهها. وكم تمنت لو كان من نصيبها الغرفة المجاورة حيث السريران منفصلان. ثم سألت:

«واين سينام بوبي؟».

«في الغرفة المواجهة مع ابني تيم».

وتابعت جوديت بابتسام:

«جميل منك ان تهتمي ببوبي. ان امه لا يبدو انها مهتمة به».

«بل اعتقد انها تهتم. الا انها... لموهبتها الموسيقية... عليها ان تكون بعيدة وتسافر كثيراً».

«انا بالحقيقة كنت افضل ان تكون موهبتها في مصلحة رعاية ابنها».

وتابعت مترددة:

«اخبريني، هل ماريزا تعرف عن زواجكما انت وغريغ؟».

«لا اعتقد ذلك. غريغ قال انها مسافرة حول اوروبا. كل يوم او يومين في مدينة».

وشعرت كوري بانزعاج بسيط لذكر ماريزا. فكرت ان كان احد يعرف عن العلاقة الحقيقية بين غريغ وماريزا فسيكون جوديت وبيل. طرحت سؤالاً محاولة ان لا تبدو انها مهتمة كثيراً بالجواب:

«لماذا تسألين؟ هل تعتقدين ان ماريزا قد تعترض على زواجنا؟».

بدا الامتعاض على وجه جوديت وقالت:

«من يعرف ماريزا مثلي يعرف انها ستعترض في شدة على خروجها من اهتمامات غريغ. ولكن لا تهتمي بالموضوع يا عزيزتي، ان غريغ يعرف جيداً كيف يتصرف ويعرف انه اختار الزوجة الملائمة له. هل يمكن ان تتصوري ماريزا مايسون زوجة مزارع؟».

ولوجود ضوضاء في الخارج، همّت جوديت بمغادرة الغرفة تاركة كوري وحدها. وقبل ان تقفل قالت لكوري:

«انا سانزل الى الضيوف. لا بد ان جميعهم حضروا. اذا كنت تحتاجين الى اي شيء أرجو ان تخبريني. ان الجميع متعطش لمقابلة زوجة غريغ. كلنا اعتقدنا انه لن يتزوج ابداً، رغم محاولات العديد من الفتيات. الا انه لا يبدو انه كان مهتماً بالموضوع قبل ان يلتقي بك».

وبقيت كوري في الغرفة مع حيرتها. وشعرت بغضب لمرأى السرير المنفرد. لا بد ان غريغ كان يعلم او يتوقع انهما سينامان معاً في غرفة واحدة. كان يمكن ان ينبهها الى الموضوع فيكون اختيارها للمجيء واضحاً. لكنها تذكرت ترَدُّده عندما قال لها انهما سيقضيان يومي نهاية الاسبوع هناك. وكم شعرت انها بلهاء لانها لم تستوعب توقفه عند هذه النقطة.

وقفت امام النافذة تراقب المناظر الطبيعية في الخارج. بحيرة محاطة بالخضرة، بيوت متفرقة هنا وهناك. والناس يمشون في اتجاه البيت. لا بد انهم المدعوون الى الحفلة. وبدا غريغ وبيل في الخارج يرحبان بالضيوف. وبدا غريغ انه يعرفهم جيداً يبتسم ويرحب بهم بحرارة. لاحظته يسأل جوديت شيئاً ثم يلتفت الى النافذة حيث وقفت كوري. ابتعدت عن النافذة فوراً متجنبة نظراته. وبعد دقيقة وجدته على باب الغرفة عندها يقول:

«لماذا تختبئين هنا؟ الجميع يريد مقابلتك والتعرف اليك».

«يريدون التعرف اليّ او التعرف الى زوجة غريغ مايسون؟».

بدا مستغرباً كلامها. دخل الغرفة واغلق الباب خلفه وقال:

«أليس الامر نفسه؟».

«انت تعرف ان الامر ليس نفسه».

قالت ذلك وهي تكاد تنفجر غضباً. توجهت الى النافذة واشارت الى الناس في الخارج وقالت:

«هؤلاء سيعرفون الحقيقة عندما سانزل الى جوديت واسألها عن غرفتين منفصلتين لي ولك، لاننا... لاننا...».

لم تضف شيئاً لانها حارت ماذا تقول. فقال هو:

«لاننا لا ننام معاً. اليس كذلك؟».

وتابع من دون انفعال «اذا كان السرير الواحد يزعجك لا تقلقي فانا انام على الارض».

ونظرت الى الارض الخالية من السجاد وقالت:

«لا تستطيع ان تنام على الارض العارية».

«انا نمت في اماكن اسوأ من هذه. لا تشغلي بالك في الموضوع. هل انتهى غضبك؟ هل تنزلين معي الى تحت؟».

نظرت اليه في صمت قليلاً ثم قالت:

«عليّ ان اكتب بضع كلمات مجاملة على البطاقة المرفقة مع الهدية التي جلبناها لاصحابك. هل تريد ان تكتب انت الكلمات؟».

«افضل ان تفعلي انت ذلك. ومهما كانت ترتيبات النوم بيننا، فانت ما تزالين زوجتي».

وبينما هي انحنت على الطاولة الصغيرة في الغرفة تكتب بضع كلمات على البطاقة غادر غريغ الغرفة ليحضر حقائبهما من الطبقة السفلى. سرحت كوري شعرها ووضعت احمر الشفاه الذي يلائم ثيابها. وعاد غريغ حاملاً حقائبهما ووضعها في اتجاهين مختلفين من الغرفة ليتجنب تقاربهما. وحملا الهدية التي احضراها معاً.

ونزلا معاً الى الطبقة السفلى وسلمت كوري جوديت الهدية. فقالت الاخيرة شاكرة:

«نحن توقفنا عن ابلاغ اصدقائنا عن الامتناع عن جلب الهدايا، لان لا احد يرضخ لرغباتنا. وانا في كل حال ارفض ان اكون مخادعة. انا احب الهدايا».

«وانا كذلك».

اجابتها كوري مبتسمة والتفتت الى غريغ لترى على وجهه تفكيراً عميقاً. وقالت جوديت:

«انا وعروستك يا غريغ سنكون صديقتين. اشكركما كثيراً على الهدية، ولن افتحها الا في حضور بيل. الآن ارجو ان تنتقلا الى الباحة الخارجية حيث الضيوف مجتمعون. وانا سادخل المطبخ لأستعد للضيافة».

ورفضت عرض كوري في مساعدتها في المطبخ بل قادتها الى الخارج وتركتها هناك حيث يتحلق بعض المدعوين ويتحدثون ويتداولون النكات. الحديث توقف لحظة ظهرت كوري وغريغ. ومن اجل ان تعطي نفسها

دفعاً من الثقة بالنفس وضعت يدها تحت ذراع غريغ وشعرت بتشجيعه المباشر لها عندما ضغط على يدها بيده الثانية.

مخاوفها ما لبثت ان تلاشت وشعرت بارتياح وانسجام مع المحيطين بها. ولكن بين وقت وآخر كانت تشعر بالذنب لانها تخدع اصدقاء غريغ بصدق زواجها. هم قبلوها واحبوها لأنها زوجة رجل احبوه واحترموه. وقد يكرهونها في المستقبل عندما سيعرفون بالخدعة.

احدهم قال مشيداً بكوري:

«الآن فهمنا لماذا اقفلت عليها في المزرعة من دون ان تدع احداً يراها. انها رائعة الجمال».

فعلّق بيل على الموضوع:

«ليس هذا هو السبب الذي جعله يتزوجها. لقد علمت منذ فترة قصيرة الهدف الحقيقي لزواجه منها».

فوجئت كوري بالملاحظة. التفتت الى غريغ لتلحظ الاطمئنان في عينيه فارتاحت وعادت تنظر الى بيل وتقول:

«يبدو انك تعرف شيئاً لا اعرفه انا. لماذا لا تخبرني ما هو هدفه من الزواج مني؟».

«اراد معلمة في الالحاح ذاته الذي اراد فيه زوجة. فاصطاد عصفورين بحجر واحد.

اليس كذلك؟».

ابتسمت كوري وقالت:

«ليس في الموضوع مديح اطلاقاً».

فتدخل الرجل الذي اعطى الملاحظة الاولى عن جمال كوري وقال:

«لا تهتمي بالموضوع يا كوري. انا اراهن بكل ما املك ان غريغ اعجب بك كزوجة. ان المعلمات يمكن ان يعثر عليهن بالعشرات. اما الزوجات مثلك فهن نادرات جداً».

كوري لم تزعجها ملاحظات الاطراء. ولاحظت ان الزوجات كن اكثر تحمساً لاطراء ازواجهن مما كانت تتوقع. وبدا ان الجميع كانوا مسرورين ان آخر عازب في الشلة تزوج واستقر اخيراً.

وعندما اعد الطعام على الطاولات تحت الاشجار وبدأ الجميع بتناوله،

شعرت كوري وكأنها تعرف الجميع منذ وقت طويل. لكنّ شيئاً في داخلها كان دائماً يذكرها انها بعد شهرين او ثلاثة تنتهي علاقتها مع غريغ وتنتهي معرفتها بهذه المجموعة الصديقة. وحتى ظهور بوبي بين وقت وآخر مع الولد تيم، كان يذكرها بزواجها غير الحقيقي من غريغ.

وفي آخر السهرة نحو منتصف الليل وجدت كوري نفسها متجاوبة بحماس مع دعوة مقترحة بحفلة مقبلة في مزرعة مايسون.

وغادر المدعوون المكان مجموعة خلف اخرى. والدا جوديت صعدا الى غرفتهما للنوم. وبقي الاربعة اصحاب البيت وكوري وغريغ يتبادلان الحديث على مقاعد في الباحة. بيل احاط بزوجته. وكذلك فعل غريغ. لم يزعج كوري التصاق غريغ بها. ولكن غريغ تمادى في تصرفه ربما ليقنع الآخرين بحميمية علاقته مع كوري. همس في اذنها بعدما شدّ رأسها الى كتفه

«لا تبتعدي عني... بعد لحظات ينتهي التصاقنا».

تركت رأسها يسترخي على كتفه ومن هناك راحت تنظر الى البحيرة الساكنة والاشجار الوارفة. والصمت يخيم على المنطقة ولا يقطعه الا نعيق غراب من بعيد. ووجدت كوري نفسها تقول:

«ليت قرب بيتنا توجد بحيرة مثل هذه».

«استطيع ان افعل واحدة. استطيع ان احول مجرى النهر. وانشىء بحيرة صغيرة».

«هل حقاً تستطيع ذلك؟».

قالت وهي ترفع رأسها وتنظر اليه برجاء. وجدته يفكر جدياً في الموضوع. وتذكرت فوراً انها قد تكون تركت المزرعة عندما يبدأ العمل الجدي في البحيرة. ولاحظت انه هو لم يبدُ منتبهاً الى هذه النقطة.

وفي تلك اللحظة صعد صوت بكاء ولد من النافذة العليا. فحاولت جوديت ان تقوم قائلة:

«لا بد انه تيم. مؤخراً صار يحلم احلاماً مزعجة».

فقالت كوري:

«بل اعتقد انه صوت بوبي. سأصعد انا الى فوق وابقي انت هنا يا جوديت».

وصعدت كوري بسرعة الى غرفة بوبي وتبم من دون ان تلاحظ ان غريغ يتبعها الا عندما سمعته يهدئ من روع تيم الذي انزعج من بكاء بوبي. احتضنت كوري بوبي بين ذراعيها وجعلت رأسه على كتفها وراحت تقول له كلمات مهدئة. ابلغها عن حلمه وهو يبكي ويشد عنقها. قالت له مهدئة:

«انه حلم يا حبيبي وانتهى. الآن اذهب الى النوم من جديد وعندما تستيقظ سيكون الصباح مشمساً وجميلاً وسنذهب لنستحم في البحيرة. ثم نعود الى بيتنا في المزرعة. انا وعمك غريغ في الغرفة المجاورة اذا احتجت الينا».

وبحثت عن منديل تمسح دموع بوبي وانفه فناولها غريغ منديله. وبعدما ارتاح بوبي واطمأن عاد الى النوم. فقامت كوري وناولت غريغ منديله. فمسك يدها وقادها الى خارج الغرفة واراد ان يقول لها شيئاً عندما بدأ:

«كوري، انا...».

ثم توقف عن المتابعة وبدأ جملة جديدة:

«اشكرك لانك تهتمين ببوبي. ما كنت انا سأقوم بالمهمة مثلك».

«النساء عادة افضل في هذه الامور من الرجال».

وسحبت يدها من يده تاركة المنديل معه، ولم تتعب نفسها في التفكير بماذا كان يريد ان يقول.

عادت كوري وغريغ الى الخارج. وبعد وقت قليل انتقل كل زوجين الى غرفتهما. وشعرت كوري أنّ الانزعاج عاد يلفها لحظة ادركت ان الليلة ستقضيها مع غريغ في غرفة واحدة. المشكلة هذه المرة لم تكن في انها غير معجبة به. بل بالعكس، شعرت أنّ شيئاً ما يشدها الى الرجل. وان تلامسها طيلة السهرة ايقظ في داخلها احساساً بالرغبة. وهذا ما ازعجها وجعلها تهرب الى الحمام لترتدي قميص النوم وتستجمع الأمان بعض الوقت.

وعندما خرجت من الحمام مرتدية قميص النوم ورداء احاطت به جسمها حتى عنقها وجدت غريغ جالساً على الكرسي يقرأ والى جانبه ثياب النوم سحبها من حقيبته. وعندما رآها قام من مكانه قائلاً:

«هل غطاء واحد يكفيك ان اخذت الآخر؟».

«نعم... ولكن...».

واخذت نفساً عميقاً واضافت:

«ولكن لا اظن انه من المستحسن ان تنام على الأرض. اولاً لأن الأرض غير مريحة... وثانياً انا قلت لبوبي ان يأتي الينا اذا احتاج الى اي شيء. واذا فعل، فان جوديت وبيل قد يستيقظان ايضاً ويأتيان الينا واعتقد ان شكلنا منفصلين واحد على السرير وآخر على الارض سيكون مثيراً للاستغراب».

نظر اليها مستمعاً بهدوء حتى النهاية ثم قال موافقاً:

«حسناً. اذا كنت انت لا تعترضين أن ننام معاً على السرير فأنا لا اعترض».

واخذ ثياب نومه ودخل الى الحمام.

لا مبالاته بالموضوع اثارتها. تساءلت: ترى الا يثيره شيء ما فيها؟ لماذا بدا غير مكترث لا سلباً ولا ايجاباً؟ ونظرت الى المرآة تحدّق في مظهرها في ثياب النوم ولم تفهم لماذا لا يجدها جذابة. وراحت تدقق بتفاصيل شكلها. في عينيها وانفها وشفتيها وجسمها. وتذكرت ان روجر كان دائماً يقول لها ان تسمن قليلاً، ان تضيف كيلوغرامين او ثلاثة الى جسمها النحيل.

روجر... واستغربت كيف انها تفكر فيه من دون اي الم. شعرت انها تكاد تنساه، هو الذي كان سبب جرح قلبها قبل بضعة اسابيع. نزعته من رأسها مثلما دخل تفكيرها. وعادت تفكر بغريغ. ذهبت الى زجاجة عطور ووضعت بضع نقاط هنا وهناك. وفكرت ان غريغ مهما وجدها غير جذابة، فانها غير مستعدة ان تمضي اول ليلة لها في سرير مع رجل من دون ان تكون معطرة.

كانت في السرير تقرأ كتاباً جلبته معها من المزرعة، عندما خرج غريغ من الحمام. بدا انه حلق ذقنه. وتساءلت هل هو يحلق ذقنه عادة قبل النوم؟ استغربت كيف يمكن ان تكون متزوجة من رجل منذ ستة اسابيع وتجهل شيئاً بدائياً كهذا.

قال لها وهو يقترب من السرير:

«مررت على بوبي ووجدته غارقاً في النوم. ويبدو مطمئناً».

ودخل في السرير من الجهة المقابلة مما جعلها تنكمش الى طرف السرير،

وتركز على الكتاب في يدها.

«ماذا تقرأين؟».

سألها بلا شديد مبالاة.

«كتاباً سحبته من مكتبك».

وارته اياه فقرأ العنوان «ادارة المزارع».

وضحك قائلاً:

«هل تفكرين في الدخول في منافسة؟».

«كلا. فانا لا افهم كلمة منه. ظننت أنّ الكتاب شيء آخر».

«هل توقعت ان تعثري على رواية غرامية؟ في مكتبي لا وجود لمثل هذه الكتب».

«انا اعرف ذلك تماماً».

قالت ذلك. واستدارت قاصدة ان تنهي الحوار بينهما ومصممة ان لا تنام قبل ان يغرق هو في النوم. ولكن عينيها بدأتا تثقلان من هذا الكتاب الذي اختارته ببلاهة معتقدة انها ستفهم شيئاً من اشغال غريغ. ولماذا يهمها الموضوع؟ بعد اسابيع قليلة، سيكون غريغ مايسون جزءاً من الماضي.

٧- امرأتان بينهما رصاصة!

استيقظت كوري في انزعاج وهي تقاوم ثقلاً فوقها. لا تستطيع ان ترفع رأسها ولا تفهم الوضع الذي هي فيه الى ان تذكرت الحفلة، ونومها في بيت جوديت وبيل. و. . . غريغ الى جانبها. رأسه ملقى على شعرها الممتد على الوسادة وذراعه عليها. ومع اعتياد نظرها على الظلام وظهور الخيوط الاولى من الفجر وجدت ان غريغ غارق في نوم ثقيل. وان شيئاً ما يزعجه فيقول كلمات غير مفهومة.. ثم بدأت تتضح كلماته.

«ماريزا ارجوك ماريزا. . .».

شدّت كوري شعرها من تحت رأسه. وشعرت بانكماش في قلبها وهي تسمعه يردد اسم ماريزا. حدّقت فيه محاولة ان تفهم شعورها نحو الرجل. لم تختلف عما شعرت نحو موي عندما استيقظ خائفاً من كابوسه. نحو موي

شعرت بالشفقة. هنا بدأت تشعر بالحب نحو الرجل. حب لم تعرف مثاله من قبل. عميق، وقوي وثابت. حب بدأ ينكسر قبل ان يتفتح. ان غريغ مايسون اظهر لكوري عبر اللاوعي ان ماريزا مايسون هي امرأة احلامه، وهي المرأة التي يحب. عاد يصدر اصواتاً تظهر انزعاجه وسقوطه تحت ضغط وكابوس. فحاولت ان توقظه.

«غريغ... غريغ... استيقظ. ان الامر مجرد حلم».

فتح عينيه ونظر اليها مباشرة.

عادت تقول:

«انك تحلم يا غريغ».

واضعة يدها لا شعورياً على خده، محاولة ان تخفف من انزعاجه.

فاجاب بصوت متعب:

«نعم، كنت احلم».

حدق فيها، في وجهها، في عنقها، واكمل نحو ما ظهر من ملابس نومها. ثم عاد ينظر الى عينيها. قرأت في عينيه رغبة فيها. اقترب منها وعانقها، ارادت ان تتجاوب معه. شعرت انها تحبه كثيراً، وانها ترغب في ان تكون بين ذراعي رجل عمرها. ولكنّ شيئاً في داخلها منعها. شيئاً جعلها تصرخ عندما التصق بها:

«لا، لا يا غريغ».

وهطلت الدموع في عينيها. انها ليست المرأة التي يحب. انّ رغبته فيها هي آنية. ان المرأة التي يرغب فيها فعلاً هي تلك التي كان يحلم بها.

فقام غريغ غاضباً. ولم يفه بكلمة. حمل ثيابه، وخرج من الغرفة واقفل الباب وراءه. ولم تشعر في حياتها بالتعاسة والوحدة مثلما شعرت في تلك اللحظة حتى الصباح.

الرحلة في طريق العودة الى المزرعة في الطائرة تم اكثرها في صمت. حتى بوبي بدأ يسترجع احداث عطلة نهاية الاسبوع في رأسه. وعندما كان غريغ يضطر ان يقول شيئاً كانت جملة قصيرة تظهر مزاجه المزعج منذ الصباح.

كوري جعلت نظراتها بعيدة نحو المناظر الطبيعية الظاهرة من الطائرة. تصرف غريغ حيّرها. هي امضت النهار مع الاولاد في البحيرة، مع بوبي

وتيم تلعب معهم وتسبح. وشعرت في حواراتها القصيرة مع غريغ انه مصدوم من تصرفها. وتساءلت لماذا؟ كان يمكن ان تفهم انزعاجه لو كان زواجها طبيعياً وحقيقياً. ولكن هي تعرف وهو يعرف ان زواجهما للمظاهر ومحدود الاهداف وقصير. وغريغ سبق أن أوضح لها مراراً ان الجاذب الجنسي هو الوحيد الذي يفسر العلاقة بين المرأة والرجل. ولهذا لا يجب ان يصدم من تصرفها لانها ترفض ان تقبل بمنطقه للعلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة، خصوصاً ان تصرفه وانجذابه لها جاءا نتيجة حلم بامرأة اخرى هي المرأة التي يحب.

وقطع بوبي الصمت بعد وقت طويل قائلاً:

«اقتربنا من البيت، اليس كذلك يا عمي؟».

«خمس دقائق ونصل».

وبدأت تظهر بيوت المزرعة المصنوعة من جذوع الأشجار. علّقت كوري على الموضوع:

«من المؤسف ان تقطع الأشجار».

فالتفت اليها غريغ فأسرعت في سحب نظرها عنه. قال:

«نحن نختار الاشجار التي نقطعها بحيث نوزع الامكنة، فلا نجعل مكاناً واحداً عارياً من الاشجار».

وفكرت كوري ان غريغ لا يسمح ان يشوه الطبيعة لانها حبه الاساسي. وهي له اهم من اي امرأة حتى ولو كانت تلك المرأة... ماريزا مايسون.

بعد دقيقتين لاحظ الجميع انّ طائرة ثانية تحط على ارض المزرعة. فصرخ تيم:

«هل جاء احد يزورنا؟ ربما تكون امي؟».

فاجاب غريغ:

«لا استطيع ان افكر باحد غيرها يمكن ان يأتي اليناً».

وبدأ غريغ يهبط بالطائرة، وكان الهبوط غير مريح لأن الطائرة اهتزت كثيراً. وفكرت كوري ان غريغ ربما يكون مضطرباً لأن ماريزا مايسون قد تكون في انتظاره.

وحطت الطائرة في مكان ليس بعيداً جداً من الطائرة الاولى. ...

يتمكن ان يضبط نفسه، فاسرع يساعده عمه نحو الارض. وبدأ يركض في اتجاه المرأة التي نزلت من الطائرة الاخرى، ويصرخ:

«ماما... ماما...».

حتى لو لم تسمع كوري نداءات بوبي، كانت ستعلم انّ المرأة الاخرى هي ماريزا. شعرت كوري بالاضطراب وبرغبة في التوقف وعدم السير في اتجاه المرأة التي تعني كثيراً لغريغ.

ولكن غريغ وضع يده تحت ذراعها وشدّ عليها قائلاً:

«تذكري انك زوجتي».

وفيما غريغ يشدها الى الامام، كانت افكارها مشتتة. انّ سبب وجودها في المزرعة وهدف زواجها من غريغ هو لمواجهة المرأة التي تهدّد ان تأخذ الصبي. ذلك الصبي الذي بدأ يعني لكوري الكثير مثلما يعني لغريغ تماماً.

وما ان اقتربا من المرأة التي بدت حاقدة الجمال، لاحظت كوري انّ ماريزا لم تنظر اليها بل الى غريغ وعانقته مدة بدت لكوري اطول من اي عناق يمكن ان يتم بين رجل وزوجة اخيه. وما لبث ان ابتعد غريغ عنها وقال:

«ماريزا، اريدك ان تتعرفي الى كوري... زوجتي».

وبعينيها الكستنائيتين وبوجهها الذي لم تتحرك فيه عضلة قالت للمفاجأة:

«هي، ماذا؟».

تأكد غريغ:

«هي زوجتي».

وشعرت كوري في تصرف غريغ انتصاراً على المرأة الاخرى خصوصاً عندما التفت الى كوري قائلاً:

«كوري، انها زوجة شقيقي، ماريزا، والدة بوبي».

فقالت كوري مجبرة:

«كيف... حالك؟».

ولم تعرف كوري ماذا تفعل. هل تمد يدها تسلم؟ ولكن المرأة الاخرى تابعت بصوت بدا فولاذياً وهي تضحك:

«الآن فهمت لعبتك يا غريغ، ولكنك لن تنجح».

«حتى الآن كل شيء ناجح»، والتفت الى كوري قائلاً: «أليس كذلك يا حبيبتي؟».

ابتسمت كوري وهي تهز رأسها، وهو يحيط خاصرتها بذراعه. هذه المقابلة مع ماريزا هي الاصعب في كل محاولات اظهار نجاح زواجهما. هي ايضاً احاطت بخاصرة غريغ واحنت رأسها على كتفه وهي تبتسم باغراء وصدق وتقول:

«ناجح جداً يا حبيبي».

وظهرت من بعيد سيارة اللاندروفر وهانك يقودها لينقلهم الى البيت، وقال بوبي:

«هذا هانك والسيارة... هل استطيع ان اجلس الى جانبك يا امي؟».

فاجابته:

«ليس الآن. تستطيع ان تجلس في المقعد الخلفي مع ما اسميها». ولم تضف شيئاً يرفع من تحقيرها لكوري. وعندما وصل هانك بالسيارة وملأ المكان بالغبار، نزل ورحب بماريزا بحماس بدا مصطنعاً لكوري. ومشت كوري لتجلس في المقعد الخلفي، الا ان شخصاً رفعها واجلسها في المقعد الامامي هو غريغ الذي قال:

«انا الذي انظم الامور هنا. ومكانك الى جانبي».

وذهب غريغ يتحدث قليلاً مع قائد الطائرة الاخرى ثم عاد الى السيارة ووجد ماريزا في المقعد الخلفي مع بوبي صامتة وباردة كالصقيع. علائم عدم امتنانها ظاهرة علناً، حتى امام ابنها المشتاق. لم تتجاوب مع حديثه الامر الذي جعله يخفف من حماسه ويصمت مقدراً ان في الاجواء توتراً.

وقاد غريغ اللاندروفر في صمت. وشعرت كوري ان عيني ماريزا تخرقانها من الخلف. وحاولت ان تعتبر انها تتصوّر الاشياء عدائية، ربما لأن علاقتها مع المرأة بدأت غير ما توقعت.

في البيت حمل غريغ حقائب الجميع بما في ذلك حقائب ماريزا. وهذه الاخيرة سألت في صوت عال اول دخولها القاعة:

«اين ايلين؟».

فاجابت كوري:

وذهبت هنا، والدها المريض في قريتها. نحن كنا خارج المزرعة في عطلة نهاية الاسبوع. ووجدنا أن من الملائم اعطاءها فرصة هي ايضاً . . .».

فعلقت ماريزا منزعجة:

«صحيح أنّ طبخها ليس مغرياً، الا انه على الاقل يملأ المعدة. انا جائعة جداً».

فاجابت كوري:

«استطيع ان احضر شيئاً لك».

فقالت ماريزا باستهجان:

«اذن انت زوجة طباخة؟».

ولم تجب كوري، بل صعدت على السلالم الى الطبقة الثانية مارة قرب غرفة الضيوف حيث وجدت غريغ يضع حقائب ماريزا. راقبته منفعلا، احدى عضلات وجهه تتحرّك في عصبية. اذن وجود ماريزا يؤثر فيه في العمق. وشعرت كوري انها مجروحة في الصميم. وعندما استدار ولاحظ وجودها قال:

«انا ساعدّ الغرفة. اذهب انت عند زوجة اخيك».

وتوقفت قليلاً ثم قالت:

«هل تتوقّع ماريزا ان يقوم احد بفتح حقائبها وتعليق ثيابها؟».

«تستطيع ان تفعل ذلك بنفسها».

قال ذلك في حدّة، وصمت قليلاً ثم قال:

«كوري، انا . . . اعرف أنّ الامر لن يكون سهلاً مع وجود ماريزا في البيت. ثمة اشياء كثيرة . . . لم اخبرك اياها، اشياء ربما يجب ان تعرفيها».

لاحظت انفعاله، وعقدة جبينه الحادة. فقالت مدّعية اللامبالاة:

«لا بأس. ان اتفاقنا لم يتضمن ان يفرغ الواحد منا اسراره امام الآخر».

بدا وكأنه لم يتوقع اجابتها اللامبالية. فشد فمه وقال:

«نعم، هذا صحيح . . . هل يمكنك ان تعدي طعام العشاء بسهولة مثلما تعدين اي شيء آخر؟».

«انا واجهت معك كل الظروف. ولا اظن ان هذه ستكون اصعبها».

وتوجهت الى الخزانة وسحبت شراشف نظيفة وبدأت تعد السرير عندما

لاحظت ان غريغ غادر الغرفة. بعد ذلك انشغلت كوري في اعداد طعام العشاء الذي رغبت في ان يكون ممتازاً. ماريزا اسكتت جوعها بعض الوقت بقطعة خبز مع جبنة. وامضت هي وغريغ المساء يتحدثان في صوت منخفض في غرفة الجلوس.

بوبي بدا غير سعيد عندما دعته كوري لتناول طعام العشاء من اجل ان ينام باكراً. قال لها:

«امي لا تريد ان ترى لعبتي الجديدة التي صنعتها وبركة السمك».

فقالت له كوري:

«بالطبع انها تريد ان ترى كل شيء، ولكنها فقط متعبة الآن بعد سفر طويل. غداً سترى كل شيء».

نظر اليها بوبي بعتاب وابعد صحن الطعام من امامه وقال:

«لو كان عندك ولد صغير ولم تشاهديه منذ زمن بعيد، هل تكونين متعبة عندما تلتقيان فلا تعطيه وقتاً لمشاهدة اغراضه الحميمة؟».

شعرت كوري بالجرح الذي يتألم منه بوبي. لو كان عندها ولد صغير من غريغ، سيكون يشبه بوبي تماماً بعينيه السوداوين وشعره الاسود ووجنتيه المستديرتين. اجابته:

«انا سأتوقع من ابني ان يفهم لماذا اريده ان ينتظر حتى ارتاح، من بعدها ارى اشياءه الحميمة».

وتناولت الشوكة وارادت ان تطعمه فقال لها:

«وهل ابنك سيفهم ذلك؟».

واذ بغريغ يدخل غرفة الطعام ويجلس الى جانب بوبي ويأخذ الشوكة من يد كوري ليطعم بوبي ويقول:

«نعم يا بوبي ان ابن كوري سيفهم أن امه تحبه كثيراً. تحبه الى حد يسمح لها ان تنتظر قبل ان ترى اشياءه الثمينة».

وراح بوبي يمضغ الطعام الذي وضعه غريغ في فمه ويبتلعه ثم يقول:

«اذا كان عند كوري ولد صغير، فسوف يكون ابنك انت ايضاً، اليس كذلك يا عمي؟».

وللحظة التقت اعين الكبار، ثم قال غريغ:

«نعم، اعتقد ذلك. مثلما انت ابني يا بوبي».

فهز بوبي رأسه بالنفي وقال:
«كلا، انت لست والدي. ولكنك ستكون والده هو. أليس كذلك؟».
فاستمر غريغ يطعم بوبي وهو يقول:
«هذا صحيح. ولكن والدك كان شقيقي. وهكذا انت لي مثلما كنت انت لوالدك».

ابتسم بوبي وقال:
«اذن كوري يمكن ان تكون مكان امي، أليس كذلك؟».
وقف غريغ فجأة. ومن دون ان تجرؤ على النظر الى غريغ قالت كوري لبوبي:
«انت عندك ام يا بوبي، لذلك انت لا تحتاج الى ام. انا خالتك. ويجب ان لا تنسى ذلك».

هز رأسه موافقاً. وامسك بالشوكة محاولاً ان يأكل بقية الطعام.

السهرة صارت تضم غريغ وكوري وماريزا في غرفة الجلوس. ماريزا على البيانو تعزف اشهر المقطوعات الموسيقية، وكوري في ركنها المفضل تشرب الشاي وغريغ على كرسي الى جانبها

اسبوع مر منذ حضرت ماريزا الى المزرعة، واصبحت شبه عادة ان يلتقي الثلاثة الكبار في غرفة الجلوس في الليل، اثنان يستمعان الى عزف الثالثة. وفي كل ليلة كانت كوري تؤخذ بالعزف المتفوق للعازفة المشهورة. وكانت تلاحظ شيئاً في قسمات ماريزا تتغير كلما جلست على البيانو، شيئاً فيه سعادة وللة يختفيان لحظة تتوقف فيها عن العزف. وحتى غريغ كانت تلاحظه مأخوذاً بالعزف ولكن قسماته تعود حادة لحظة تتوقف الموسيقى.

تلك الليلة، بعد اسبوع من مجيء ماريزا، تركت كوري الموسيقى تتغلغل فيها لتمنع افكارها من التشتت والانزعاج. كانت تعرف ان هدنة بينها وبين ماريزا قامت رغم عدم رغبة الواحدة بالأخرى، وانها مجبرتان على تبادل الاحترام والجلوس معاً. كانت ماريزا خلال اوقات النهار تجلس الى جانب بركة السباحة تتشمس، معطية القليل جداً من اهتمامها لبوبي الذي كان يحاول جاهداً ان يلفت امه اليه والى انجازاته.

في الليل فقط كانت تتألق ماريزا في اناقتها المكتملة من رأسها حتى اخمص قدميها، لوجود غريغ في البيت. ولاحظت كوري ان حتى ابلين

اضطرت ان تحسن في طريقة طبخها بسبب ملاحظات ماريزا. وانّ الجميع كان تقريباً مستمعاً الى قصص ماريزا الطويلة عن رحلاتها الفنية ونجاحاتها. وماريزا كانت تجنب الخوض مع كوري في موضوع زواجها المفاجىء والسريع من غريغ حتى جاءت تلك الامسية. كانت ماريزا نزلت باكراً الى غرفة الجلوس قبل موعد العشاء.

وبعد وقت قصير دخلت كوري الى غرفة الجلوس واذ بماريزا تقول لها:
«ها هي العروس تظهر. عروس... وليست بعروس. كيف تشعرين يا عزيزتي في كونك زوجة لرجل لا يهتم بها اطلاقاً؟ لرجل يستعملك لاهدافه الخاصة؟».

دخلت كوري وسكبت لنفسها فنجان قهوة وجلست بعيدة عن ماريزا في هدوء وهي تقول:
«لا افهم ماذا تقصدين بكلامك».
كم تمنت كوري ان يظهر غريغ ويحميها من هذا الحوار. ولكن غريغ حضر الى البيت متأخراً بعد نهار متعب ودخل غرفته وبالطبع يحتاج الى بعض الوقت ليستحم ويستعد لموعد العشاء. فاجابتها ماريزا:
«انت تفهمين تماماً ماذا اقصد. كل هذا التقارب والتلامس بينك وبين غريغ لا يخدعني اطلاقاً. انا افهم تماماً هدف غريغ من الزواج منك. ولكن ما يفوتني هو الهدف من زواجك انت منه؟ انت تأتين من عائلة غنية، كما فهمت، ولا اعتقد انك علقت باول عريس غني تقدم لك».
«هل من الصعب ان اكون وقعت في حب غريغ؟ انه رجل جذاب».
«آه، طبعاً، استطيع ان افهم ان تكوني الآن مغرمة به، ولكن لا اعتقد انك احببته عندما تزوجته».
ثم قامت ماريزا من مكانها وتابعت في عصبية:
«ان الامر لن يفيدك بشيء يا عزيزتي. غريغ لا يحبك ولن يحبك ابداً. انت تعرفين السبب، أليس كذلك؟».
حافظت كوري على هدوئها وهي تكاد تتمزق من الداخل. ولكن قالت:
«اخبريني انت السبب».
فاجابتها ماريزا بعصبية ايضاً وهي تحدق بها:

«لانه يحبني اناء وتابعت: «هو كان دائماً يرغب بي، منذ اليوم الاول الذي احضرني شقيقه الى هنا. جون كان يعلم ذلك. وكان يعلم ايضاً انني انا ارغب في غريغ ايضاً».

فاجابتها كوري بجفاء:

«الم تكن الظروف ملائمة لكما عندما مات جون؟ لماذا لم تتزوجا؟».

فعادت ماريزا الى مقعدها واجابت:

«انه الضمير. عندما مات جون، كان غريغ يعلم انه هو المذنب. وان الدب الذي هاجم جون جاء اولاً الى غريغ قبل ان يلفته جون اليه. الم يخبرك غريغ عن اثر الجرح في وجهه؟».

وشعرت كوري ان حلقها جاف وأنها تكاد تختنق. فقالت:

«هوجم الاثنان من دب، لم اكن اعلم أنّ شقيقه... قتل... في حادث هجوم الدب».

وظهرت على ماريزا مظاهر انتصار، فابتسمت وهي تقول:

«هذا يثبت رأيي عن ازمة الضمير. كان بالطبع سيخبرك عن تفاصيل الموضوع لو لم يكن يرغب في اخفائه».

«ولماذا يخفي شيئاً؟ كان حادثاً وكاد غريغ يكون الضحية لو لم يكن الحظ السيء من نصيب جون».

فومضت عينا ماريزا وقالت:

«وبالطبع لم يخبرك ايضاً كامل القصة. لم يخبرك ان جون مات ليس بسبب الدب... بل من رصاصة قاتلة!».

٨ - خطة فاشلة

ما عادت كوري تستطيع ان تتحمل الحوار مع ماريزا. خرجت من الغرفة وتوجهت عبر الممرات الى الباب الخارجي الكبير واستقرت في الباحة الخارجية تستند الى احد الأعمدة تراقب السماء والنجوم والتلال الممتدة.

غريغ يملك كل البقعة الممتدة. هو زوجها الذي يزداد غموضاً لها. يحب المزرعة كثيراً. هل حبه هذا يكفي ليقتل شقيقه الأكبر ويرث الأرض كلها؟ هو قاسي العواطف، وهذا ما لمسته منذ تعرفت اليه. ام هل حبه لماريزا وحده يكفي ليقتل شقيقه من اجلها؟ وجاءها صوت غريغ من الخلف يجعلها تقفز من مكانها:

«كوري؟ هل ثمة شيء يزعجك؟».

«آه، كلا، لا شيء».

اقترب منها وادارها نحوه وحلّق في عينيها. وتحت ضوء القمر المنعكس عليها فكرت وهي تنظر اليه. نعم، هو يفعل اي شيء للوصول الى اهدافه. وعدم زواجه من ماريزا لاسباب ضميرية لا يكفي ليثبت انه انساني.

اصر على ان شيئاً ما يزعجها. مد يده واراحها على كتفها قائلاً:

«ثمة شيء يزعجك. ما هو هذا الشيء؟ هل قالت ماريزا شيئاً ازعجك؟».

«كلا... فقط هي لا تصدق اننا... حقيقة زوج وزوجة».

وضع يده الثانية على كتفها واقترب منها وقال لها:

«اذن علاقتنا يجب ان تكون اكثر اقناعاً».

وعانقها في حنان وشعرت انها بحاجة الى ان يكون هذا الحنان حقيقياً.

واذا بماريزا تظهر وتقول:

«ان تمثيلكما يكاد يكون مقنعاً».

رفع غريغ رأسه وقال وهو يعيد النظر الى كوري:

«ان الأمر ليس تمثيلاً يا ماريزا. انت عندك الخبرة الكافية لتعرفي الفرق بين الادعاء والحقيقة».

واذا بماريزا تطلق ضحكة استهزاء وتقول:

«وانا عندي الخبرة الكافية لاعرفك يا غريغ واعرف اساليبك في انك تفعل اي شيء لتحتفظ ببوبي هنا. هل تنفي ذلك؟».

ابتعد عن كوري قليلاً وحدق اكثر بماريزا قائلاً:

«كلا، انا لا انفي اني اريد بوبي في المزرعة معي هنا. وانت تعرفين السبب».

اجابته متحدية:

«حقاً انا اعرف السبب. هل عروستك الصغيرة تعرف السبب؟».

فأجابها:

«كوري تعرف بالقدر الذي تحتاجه».

«وهل تعتقد انه من العدل ان لا تخبر زوجتك كل شيء عندك؟».

وشعرت كوري بألم في رأسها نتيجة الحوار اللئيم الدائر بين الاثنين، وكأن لا قيمة لوجودها. فمشت باتجاه الباب لتدخل الى البيت مسحية.

ومع ان غريغ ماداعها ان تبقى، الا انها تجاهلت امره ودخلت البيت وسارت مسرعة حتى غرفتها وتمددت على السرير تدفن رأسها المتألم تحت الوسادة. كثيرة هي الاشياء التي علمتها اليوم. اولاً، ماريزا جعلتها تعتقد ان غريغ قتل شقيقه لانه يريدها. وثانياً عناق غريغ لها ليوهم ماريزا ان زواجهما طبيعي، واخيراً رغبته في أن لا يخبرها كل الحقائق كما هي.

في اليوم التالي سارت في المزرعة تسأل عن هانك. عندما وجدته سألته:

«هل تأخذني في الطائرة الى بلدة وليمس ليك؟».

هي كانت تعلم ان غريغ ذهب الى سهل بعيد ليكشف على المزروعات الجديدة وان هانك لم يذهب معه. ولما طلبت من هانك ان يقلها في الطائرة خارج المزرعة، وقف امامها محتاراً. رفع قبعته الى الوراء وقال:

«ان غريغ ذاهب غداً الى هناك ليحضر البريد وحاجيات اخرى... الا تستطيعين الانتظار حتى الغد؟».

«كلا، لا استطيع ان انتظر. ان المسألة هي... اني اريد ان اقضي، غريغ بعيداً عن هنا يوماً. الن تكون مغامرة ان نحلق معاً الى هناك؟ انا اعرف تماماً ماذا اريد. ونحن نستطيع ان نذهب ونعود قبل المساء. وقد اخبرني في الصباح انه سيتأخر في العودة الى البيت مساء بسبب ذهابه الى السهل البعيد. هل تأخذني يا هانك؟».

وافق ولم تعرف لماذا وافق. هل لأنها نظرت اليه بعينين واسعتين وصوت ناعم برجوه، ام انه رغب في ان يبتعد بضع ساعات عن المزرعة والعمل الشاق فيها؟

قال لها:

«ان استطعت ان تكوني حاضرة خلال نصف ساعة، فباستطاعتنا ان نعود في وقت اقرب بكثير من موعد عودة غريغ. سآتي الى البيت لالتقطك في اللاندروفر بعد قليل».

شكرته مبتسمة، وشعرت ببعض الذنب لانها ستستعمل اقرب الاشخاص الى غريغ في الخدعة والفرار. ولكن ما لبثت ان تخلت عن هذا الشعور عندما تذكرت الحوار الذي دار ليلاً بين غريغ وماريزا عندما غادرت غرفتها ليلاً في طريقها الى المطبخ. لم تستطع ان تمنع نفسها من الاستماع الى الحوار.

ماريزا كانت تقول:

«الفتاة التي لا خبرة لها لا تعني لك شيئاً. خصوصاً بعدما كنا نحن لبعضنا».

«وماذا كنا نحن؟ شخصين يشدنا اهتمام مشترك هو بوبي».

«انت تعرف ان اشياء كثيرة تجمعنا غير بوبي. او. . . يمكن ان تكون اشياء كثيرة تجمعنا ان اردنا ذلك. . . غريغ، كنت افكر مؤخرا انني تعبت من السفر والتجول حول العالم، اعرف ليلة في مكان وليلة ثانية اكون في مكان ثان وبلد مختلف. الآن قد يكون الوقت المناسب لأتقاعد. . . ولكي اكون زوجة مالك مقاطعة زراعية مثلك يساعدني على الاستقرار ما رأيك؟».

«انا عندي زوجة».

«لا تكن سخيفاً يا حبيبي، كلنا نعلم لماذا انت تزوجتها. وهذا السبب لا يعود له اهمية ان. . . انا وانت. . .».

ولم تعد كوري قادرة على متابعة الحوار خصوصاً عندما لاحظت ماريزا تقترب بجسمها صوب غريغ، فانسحبت من الممر في جوار غرفة الجلوس في اتجاه غرفتها، هذه الغرفة التي اصبحت مهربها الوحيد والمكان الذي تدفن فيه احزانها خلف باب لا يفتحه احد غيرها.

والآن وهي تنظر الى السهل الممتد وتنتظر هانك ليأخذها فكرت ان لا احد سيفتقدها في المزرعة. . . ربما باستثناء بوبي. وفكرت ان ابتعادها عنه سيفيده من اجل ان يعود في اعتماده على امه. وهي في كل حال كانت ستتركه بعدما تنتهي دعوى الحضانة وينتهي اتفاقها مع غريغ.

لم تستطع ان تودع بوبي فهو يمضي نهاره مع بعض الاصدقاء في بيتهم. ولم تشعر بوجود ماريزا في البيت. فقط كانت تسمع دندنة ايلين من المطبخ تصدر الحانا متوازنة. وفكرت كوري ان من الافضل ان لا تقول شيئاً لايلين وتنسحب من البيت بانتظام.

هانك بدا سعيداً عندما جاء يأخذ كوري باللاندروفر. وفكرت كوري انه ربما يأمل في ملاقاة صديقة على غير موعد في وليس ليك.

لم تتجرأ كوري على اخذ اغراضها وثيابها لأن ذلك سيثير شكوك هانك.

وكل ما رغبت فيه في تلك اللحظة ان يكون بينها وبين المزرعة مسافة. وغريغ لن يأتي خلفها يعيدها الى المزرعة لأن كبرياءه لن يسمح له ان يسعى من اجل زوجة تخلت عنه، ثم هو لن يرضى بأن يبدو صغيراً امام هاورد وتوريين.

وفيما هي تنتظر هانك ليأتي بالطائرة من مرآبها، لاحظت غيوماً من الغبار تتعالى في السهل وتقترب، ولم تكترث الا للطائرة الصغيرة تقترب من المدرج وتصعد داخلها لتجلس الى جانب هانك. وقبل ان يتمكن هانك من ادارة المحرك كان باب الطائرة يفتح وغريغ يصرخ قائلاً:

«اين تعتقدين انك ذاهبة؟».

ومد يديه محاولاً ان يحمل كوري من مقعدها وينزلها الى الأرض. فقال هانك:

«نبأ لك يا غريغ. كنا نعد لك مفاجأة لعيد ميلادك».

فاجابه غريغ غاضباً:

«كانت ستكون مفاجأة فعلاً. ارجع الطائرة الى المرآب يا هانك واركب حصاني لتعود فيه الى المزرعة. وهناك يكون لي شأن معك».

فقالت كوري لغريغ وهو يقودها داخل اللاندروفر:

«انها ليست غلطة هانك. انا سألته ان يأخذني من اجل ان. . . اشتري لك هدية. . . لعيد ميلادك».

فأجابها:

«انت غير ناضجة بعد. ان عيد ميلادي ليس قبل شباط من السنة المقبلة».

واذ بها تنفجر من البكاء وتقول:

«وكيف تريدني ان اعرفه. انت لا تخبرني شيئاً ابداً».

ولم يقل شيئاً بل ضغط على فكه وقاد اللاندروفر في خشونة رغم المطبات والحفر في الأرض. وبعد صمت طويل سألها:

«انت كنت هاربة، انت هربت من اتفاقنا لماذا؟».

ونظر اليها بعينين جعلتا كوري تفاجأ بحدة غضبه. فقالت هامسة:

«انا اعتقد انه ما عاد هناك مبرر لزواجنا الآن».

«وما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟».

«انني . . . سمعت بالصدفة ما كانت تقوله لك ماريزا ليلة البارحة».
«وماذا سمعت من الحوار؟».
«ما يكفي لأن اعرف رغبة ماريزا في ان تتخلى عن عملها كمزارعة وتتزوجك. وهذا ما يجعل زواجنا فارغاً ولا معنى له».
«وماذا كنت تخططين ان تفعلي؟ ان تعودي الى خطيبك السابق؟».
«ربما».
قالت ذلك وهي تعرف جيداً انه لا يعلم محتويات رسالة تلقتها مؤخراً من دورين تخبرها فيها ان روجر مشغول الآن بالفتاة التي ضبطتها معه. واستغربت كيف ما عاد يعني لها شيئاً، وكيف خلال اسابيع قليلة، تحولت عواطفها وافكارها في اتجاه رجل ومزرعة صارا اكبر من الحياة كلها. ومع ذلك كذبت على عواطفها وعلى الرجل الى جانبها وقالت له:
«ان ما كنت اريد ان افعله هو شأني انا. . . ولا اعتقد ان الموضوع يهمك».
ولم يرض بجوابها بل قال [illegible] اليها:
«هنا انت مخطئة جداً. ان الموضوع يعنيني جداً. . . على الأقل للمرحلة الحاضرة. انت وافقت على اتفاق عقدناه معاً وانا اريدك ان تلتزمي به. وعندما تنتهي مسألة الحضانة مع بوبي، يمكن ان تذهبي الى اي مكان ترغبين فيه. حتى ذلك الوقت، اريدك ان تبقي الى جانبي ولا تجبريني على تقييدك».
«لا اظن انك ستجبرني على ذلك. لأن لا مجال بعد اليوم لهربي. اذ بأي وسيلة سأذهب. وكيف يمكن ان اخدع هانك بعد الذي حصل اليوم. لكني اعرف اي تفسير يدور في ذهن هانك الآن لما حصل بيني وبينك».
اجابها بصلابة:
«ان هانك يعمل عندي ليفسر مشاكل المزرعة لا مشاكلي الزوجية».
وبعد صمت قليل شعرت ان غضبها خف تدريجياً. التفتت اليه وقالت ما يربض في صدرها:
«لماذا لا تتزوج ماريزا وتنتهي من كل مشاكلك يا غريغ؟».
«هذه المسألة انا اقررها وانا الذي اختار الزوجة التي تناسبني وفي الوقت الذي يناسبني. ان بيني وبين ماريزا روابط تعود الى ماض بعيد. . .».

«الى ماض يرتبط بمقتل شقيقك؟».
فوجيء بكلامها فالتفت اليها سائلاً:
«ومن اخبرك عن مقتل شقيقي؟ ماريزا؟ وماذا قالت لك؟».
«قالت ان شقيقك . . . قتل . . . في الحادثة نفسها . . . التي حصل فيها هجوم ذئب عليك».
«هل هذا كل ما اخبرتك اياه؟».
فهزت رأسها بالايجاب.
«انا آسفة يا غريغ . . . انا لم اعلم . . .».
«لا شيء يهم ان تعلميه. ان الذي حصل ذلك النهار يعنيني انا وماريزا و. . . بوبي فقط».
وبعد قليل وصلا الى البيت. فنزلت كوري وتابع غريغ طريقه الى السهل. راقبته يقود اللاندروفر في سرعة جنونية. وراحت تفكر: ترى هل هو يواجه ازمة ضمير؟ هذا ما قالته ماريزا. ان عدم رغبته في الخوض في ظروف الحادث الذي ادى الى مقتل شقيقه قد يكون لسببين. اما لأنه كان يحب شقيقه كثيراً وعدم الخوض في الموضوع يريحه. او لأنه [illegible] رضخ للشيطان وتخلص من العقبة الوحيدة التي كانت تقف امام حبه لماريزا. والألم يولد شعوراً بالذنب جعله يتطرف في رغبته في حماية ابن شقيقه اليتيم.
دخلت كوري البيت وصعدت الى غرفتها وهي تشعر بدوار في رأسها. عاطفتها ارادتها ان تصدق السبب الأول. ولكن عقلها قادها نحو السبب الثاني. فهي لا تقبل ان تصدق ان غريغ، الذي يعرف كيف يضبط عواطفه وانفعالاته، ان يكون ما يزال متأثراً لمقتل شقيقه.
مر اسبوع بعد المحاولة الفاشلة للهرب، وكوري تحاول ان تقبل الوضع الذي وجدت فيه. امضت ايامها في السباحة والتمدد تحت الشمس. وماريزا كذلك كانت تزداد اسمراراً نتيجة المواد التي تدهنها على جسمها في حماماتها الشمسية. تصرفاتها نحو كوري توقفت عن منحاها المتعالي، ولكن بقيت غير ودودة.
بدت وكأنها ادركت خطأها في حجم تأثير كوري على غريغ. وهذا الأخير بدا كأنه يدعم هذا الاكتشاف لدى ماريزا في الاقتراب اكثر واكثر

من كوري.

يتمدد الى جانبها تحت الشمس يجلس الى جانبها في المساء ويحيط كتفيها بذراعه. كوري حاولت ان تنسى ان في الأمر تمثيلاً وكانت بين وقت وآخر تجد متعة في القاء رأسها على كتفه.

اما بوبي فبدا وكأنه رضي بعدم اكتراث والدته بالسباحة معه في البركة، فوجد في كوري ملاذه. ووجد متعة في تعلم فنون الانقاذ داخل الماء مع كوري.

في احدى المرات جرح اصبع رجله في طرف البركة، فالتجأ الى كوري لمساعدته في حين امه ممددة تقرأ مجلة. في تلك اللحظة وصل غريغ وسأل ماريزا:

«ماذا أصاب بوبي؟».

ومن دون ان تلتفت اليه او تزيل نظرها عن المجلة قالت:

«اسأل كوري. هي اخذته ايضاً».

هذه الـ«ايضاً» بقيت عالقة في الهواء مع انها مفهومة تماماً لدى غريغ. اقترب من كوري وبوبي وسأل عن المشكلة. فقالت كوري:

«بوبي جرح اصبع رجله. لكنه الآن احسن أليس كذلك يا بوبي؟».

أراد ان يثبت ما قالته، وقف ومشى يمنة ويسرى ثم قال لغريغ:

«ان كوري تعلمني اساليب انقاذ الغرقى، يا عمي، نريد شخصاً نتمرن عليه، هل تنزل معنا الى البركة؟».

لوهلة ظنت كوري ان غريغ سيرفض. ولكنه وافق وطلب دقيقة واحدة ليغير ثيابه ويعود. وخلال اقل من دقيقة عاد وسار الى اقصى البركة ثم قفز داخلها. ولمحت كوري نظرات ماريزا تنصب على الرجل الذي تتمناه. شعرت كوري بالقليل من الانزعاج فخرجت من البركة محاولة الابتعاد ولكن صوت بوبي اوقفها:

«يا كوري، ان عمي غريغ يغرق، يجب ان تساعديه».

وادركت كوري ان غريغ ادعى فوراً الغرق وعدم القدرة على السباحة، ولم تستطع ان تتجاهل مناداة بوبي. فنزلت الى البركة وتعاونت هي وبوبي على سحبه الى خارج البركة.

وبقي غريغ ممدداً يدعي الغياب عن الوعي. وادركت كم هو يتقن

التمثيل، وانه لم يكن في حاجة الى هذا الدور ليقنعها. سألها بوبي:

«هل علينا ان ننفخ في فمه؟».

«كلا. اولاً يجب ان نتأكد من اسنانه ان كانت اصطناعية لنسحبها».

ضحك بوبي للنكتة، وحتى غريغ لم يتمكن من اخفاء ابتسامة.

عندما انتهى اللعب قامت كوري ومشت في اتجاه البيت وهي تشعر ان غريغ وماريزا يراقبانها. الأول ربما ينظر باعجاب، اما الثانية فلا بد انها تنظر بحقد. ولكنها لم تعد تريد ان تهتم. انها لن تسأل حتى اذا احتضن غريغ ماريزا. ان حب كوري لغريغ تفسره بانه حاجة الى حنان تفتقده من رجل. وانها لن تدع نفسها تقع في الغرام لأنها لن تلقى من غريغ الا رفضاً للحب الرومنطيقي ورابطاً مع امرأة شقيقه لا يريد ان يحوله الى زواج وفكرت ان في الأمر سبباً يتعلق بغريغ ورغبته في اظهار سلطته على المرأة القوية. متسلط الطبع لن يقبل الا بامرأة لينة بين اصابعه.

٩ - احب شعرك الطويل

«كم ستمضي جلالتها من الوقت هذه المرة؟!».

سألت شيري في صباح اليوم التالي خلال تجمع بضع سيدات في منزل جين ريبرن حول القهوة وفي حضور كوري.

«هل تعنين ماريزا؟!».

سألت كوري وهي تستغرب استهزاء شيري من عازفة البيانو التي حتى كوري ما تزال تنظر اليها بتقدير.

«ومن غيرها؟ لا بد انها واجهت صدمة عنيفة عندما واجهت وجودك كزوجة لغريغ. كم كنت اتمنى ان اشاهد انفعال وجهها في تلك اللحظة».

جين قاطعت شيري وبدت انها تقول شيئاً لطمأنة كوري اكثر من الرد على شيري. اذ قالت:

«توقفي عن هذا الكلام يا شيري، لم يكن غريغ يوماً معجباً بماريزا مايسون».

فردت شيري راغبة في الاستمرار:

«اذن ماذا تفسرين تلك الأوقات الطويلة التي كانا يمضيانها معاً في رحلات على حصانين في الغابات؟ بوب قال...».

قاطعتها جين غير مكترثة لرد فعل شيري:

«بوب لا بد تخيل غريغ يفعل الشيء نفسه الذي يمكن ان يفعله بوب ان وجد مع امرأة وحدهما في فترة زمنية محددة».

فوجدت كوري من الأفضل ان تتدخل لتمنع استمرار الحوار في اتجاه شخصي، فقالت:

«لا فكرة عندي كم ستبقى من الوقت».

واسرعت في تغيير الموضوع كي لا يتدخل احد في التعليق فقالت:

«افكر في قص شعري وجعله قصيراً، هل تقصينه لي يا جين؟!».

وجين كانت تعمل حلاقة قبل زواجها، وفي المزرعة اصبحت الحلاقة الرسمية لزوجات المزارعين، واحياناً تقص شعر الرجال ايضاً. الحلاقة المحترفة تحدقت في شعر كوري وسط استهجان باقي النساء لاي محاولة قص ثم قالت:

«يا كوري لا يجب ان تقصي شعرك، ان غريغ لا بد ان يعترض».

اجابت كوري:

«لا اعتقد انه يعترض. هو يهمه ان افعل ما يسعدني».

وجددت جين اعتراضها قائلة:

«انا اعتقد ان غريغ مثل اكثر الرجال يحب شعر امرأته طويلاً. ربما يعود ذلك الى مبدأ توارثه الرجال منذ اقدم العصور عندما كانوا يشدون شعور نسائهم وهن ممددات على ظهورهن في عملية شدهن الى الكهوف».

وراحت كوري تتخيل غريغ يشدها من شعرها وهي امرأة من العصر الحجري. وابتسمت في سرها وحال موعد مغادرتها بيت جين، على الباب قالت لها جين:

«تذكري اني لن اقص شعرك الا بكتاب خطي من غريغ. وحتى لو جاء الكتاب فانا متأكدة انه سيقاطعني لفترة طويلة».

هل غريغ فعلاً يهتم بالموضوع؟ سألت نفسها. ربما يهتم من ناحية شكلية ولكن بالطبع لا يهتم من ناحية شخصية. وفي طريقها الى البيت سيراً على الاقدام التقت بغريغ يخرج من حديقة زجاجية للنباتات. اقترب منها وسار الى جانبها في اتجاه البيت قائلاً:

«هل كنت في صحبة حول القهوة مع النساء؟».

هزت رأسها من دون ان تتكلم فقال:

«لا بد انك صرت على علاقة جيدة معهن، اليس كذلك؟».

«علاقتي بهن ابقيها في حدود المعقول. فانا لا استطيع ان ابني صداقة مع اشخاص اعرف اني سافترق عنهم بعد وقت قصير».

«ربما معك حق».

وفيما هو يسير قربها كان ينظر الى السماء والافق وقال:

«ان عاصفة كبيرة مقبلة الينا».

«كيف تعرف ذلك؟».

سألت وهي تلاحظ قميصه لاصقة على جسمه مبللة من العرق بسبب الحر. فأجاب:

«الحلقة التي تحيط بالشمس، الجمود في كل مكان . . . الهدوء».

في جمله القصيرة والواضحة ادركت كم الرجل يعرف الطبيعة، وكم هو خبير في الحياة الزراعية والقروية. ونظرت اليه تدرس قوته البدنية وكتفيه العريضتين اللتين تحملان اصعب ما يمكن ان تحمله الارض للعامل فيها. وتذكرت ملاحظة جين عن ارث الرجال الذين حملوه من العصور الحجرية وتذكرت شعرها، فقالت:

«سألت جين ان تقص لي شعري ولكنها . . .».

«سألتها ماذا؟».

ووقف امامها يحدق فيها في غضب ويمنعها من متابعة السير قبل ان ينتهي هذه المسألة.

«سألتها ان . . .».

«سمعت ما قلته، وانا امنعك من ذلك. انا سأبلغ جين بنفسي ان لا تفعل ابداً».

«وماذا يهمك من شعري اكان طويلاً ام قصيراً؟».

«لا شيء سوى اني اعتقد ان شعرك هو واحد من الاشياء التي تساهم في ابراز جمالك. وانا اتحدث مثل اي رجل يمكن ان تلفته بشكلك الخارجي».

وشعرت بأنها غير منزعجة اطلاقاً من ملاحظته.

العاصفة التي كان يتحدث عنها غريغ وصلت، وراحت تمطر في غزارة عندما كانت كوري تساعد ايلين في اعداد فطيرة.

ماريزا انقلب مزاجها مع الطقس وبدت عصبية في شكل اجفلت حتى ابنها الذي هرب الى المطبخ يتسلى مع كوري. وبعد قليل انتقل الى غرفته يبحث بين العابه عن شيء يسليه وكان نسيها طيلة الايام التي كان الطقس فيها مشمساً.

ماريزا جلست الى البيانو تعزف مقطوعة تعلمتها في منتصفها بضرب اصابعها على المفاتيح. وبعد قليل حضرت الى المطبخ تقول:

«آه، يبدو انني نسيت ان هذا البيت يتحول الى مكان عمل. ماذا تفعلين يا ايتها الزوجة - اللازوجة؟».

كوري امتقعت للملاحظة، وايلين احتارت ونظرت الى ماريزا بانزعاج. ومع ذلك قالت كوري ببرود:

«اعد فطيرة. لماذا لا تذهبين الى غرفة الجلوس فاحضر مع فنجاني قهوة؟».

واذ بماريزا تتابع الاسلوب ذاته:

«يبدو انك ناعمة جداً، ولكن لا تعتقدي انك ستحصلين على غريغ بهذه الطريقة يا ناعمة. ان غريغ يدفع مالاً للناس . . . من اجل خدمات عائلته».

«نعم اعرف ذلك».

واستمرت كوري ببرودها. احاطت بماريزا وقادتها الى خارج المطبخ في اتجاه غرفة الجلوس طالبة من ايلين ان تصنع هي القهوة. فقالت ماريزا:

«وكم دفع لك حتى تلعبي دور الزوجة الطيبة؟».

سألت ماريزا مستمرة في محاولة اذلال كوري ولكن هذه الاخيرة استمرت في هدوئها وهما تجلسان على مقاعد منفصلة في غرفة الجلوس وقالت:

«يدفع لي مبلغاً كبيراً جداً».

وعادت كوري الى المطبخ لتجلب القهوة واذا ايلين تقول لها:

«ماذا قصدت عندما قالت لك: لا تعتقدي انك ستحصلين على غريغ بتمويلك. انت حصلت عليه هو رجلك وانت امرأته. وانا لم اشاهد غريغ اسعد مما هو عليه منذ الزواج منك».

لوهلة، نسيت كوري انتظار ماريزا لها مع القهوة، وسألت ايلين:

«هل صحيح أنك تجدين غريغ سعيداً؟».

«طبعاً هو كذلك. انا لست متزوجة، ولكنني اعرف متى يكون الرجل مفتوناً بامرأته. في الليلة الأولى التي حضرتما فيها عروسين اخبرني انكما ستنجبان الكثير من الأولاد ... هل من جديد تخبريني اياه؟».

اجابت كوري بالنفي في سرعة تخفي انزعاجها بسكب القهوة في الفناجين، والانتقال الى غرفة الجلوس. وبعدما شربا القهوة معاً، غادرت كوري المكان الى غرفتها. وهناك راحت تفكر وهي تنظر من النافذة الى السهل الممتد. ان ماريزا منسورة هي آخر امرأة يمكن ان تكون زوجة لغريغ. ولا يمكنها ان تتصور ماريزا العارضة المشهورة زوجة لغريغ المزارع منقلة على نفسها في مزرعة كهذه. ولكن الحب احياناً يحضر في اغرب الظروف وحب ماريزا لغريغ واضح ومعلن. وان كان كلام ماريزا اهلاً للثقة، فذلك يعني انه حتى جون كان يعلم بغرامها. واغرورقت عينا كوري بالدموع من اجل حبها التاعس وشعرت انها تبكي ايضاً جون الراحل وحبه اليائس. وانهمرت الدموع على وجنتيها وشعرت انها تريد ان تلعن ماريزا وتلعن غريغ لافتتانه بامرأة ستعطيه القليل القليل مما يمكن ان تعطيه كوري.

ومع صوت خرير مياه الحمام ادركت ان غريغ وصل ويستحم. بعد فترة قصيرة دخلت هي الحمام وكان بخار المياه الساخنة ما يزال يحوم في المكان. استحمت هي ايضاً وعادت الى غرفتها ترتدي ثياباً بسيطة. اختارت سروالاً وقميصاً مدركة ان هذا اللباس لا يعجب غريغ في سهرات العشاء. وان ماريزا ستكون في افضل اناقتها.

وهوى قلبها لحظة وصلت الى الممر قرب غرفة الجلوس حيث يدور حوار بين غريغ وماريزا. جمدت في مكانها وهي تسمع ماريزا تقول:

«لست بلهاء الى الحد الذي يمكن ان اعتقد ان ... تلك الفتاة ... يمكن ان تكون زوجتك المقنعة».

توقفت عن الكلام قليلاً ثم اضافت:

«اجعلها تغادر المزرعة .. ونبقى انا وانت مثلما كنا دائماً ...».

«ارجوك يا ماريزا أليس من امر آخر يشغل فكرك غير هذا الموضوع. فكري ببوبي مثلاً».

«انا لا يهمني بوبي».

وتابعت بصوت عال يظهر فقدان صبرها وعصبيتها الشديدة:

«انا لا يهمني بوبي حتى لو لم اعد اراه في حياتي، الا انني ...».

وفجأة تجد كوري ان بوبي في اسفل السلّم جامداً في مكان ثم يركض الى الباب الكبير ويخرج منه مسرعاً. بوبي، وصوت امه الهستيري لا بد انه سمع العبارات الجارحة.

لوهلة فكرت كوري ان تبلغ غريغ وماريزا عن هرب الصبي ولكن خوفاً من ضياع الوقت، ركضت هي الى الخارج لتجد بوبي. عندها تماماً فكرت ان تعود الى الداخل لتفهمهم ماذا حصل، ولكنها توقعت ان يكون بوبي ذهب الى منزل احد اصدقائه. ولكن ما ان سارت قليلاً حتى رأت بوبي على ظهر حصان صغير يقوده مسرعاً في اتجاه سياج المزرعة.

دخلت الاصطبل وهي نادمة لأنها لم تفكر في ان تتمرن على ركوب الخيل، ولأنها رفضت ترحيب غريغ لها. المطر بلل شعرها وانهمر على وجهها قبل ان تستقر على رأي ان تأخذ اللاندروفر وتقوده حيث تتوقع ان تجد بوبي. دخلت المرآب وانطلقت باللاندروفر من دون ان تقفل باب المرآب الكبير. سارت بين بيوت المزرعة وتساءلت: هل تقف تسأل بعض المزارعين للمساعدة؟ ولكن ان فعلت فان بوبي يكون امعن في البعد وزاد ضلالاً. حركة في منحنى تلة ومجرى نهر. انه بوبي على الحصان. ولكن قلبها هوى عندما وجدت انها لن تستطيع باللاندروفر ان تأخذ الطريق ذاتها التي لا تصلح الا للحصان لعبور النهر. توقفت في مكانها لا تعرف اي سبيل تختار. هل تعود تخبر ما حصل معها. ام تستمر؟ وكيف تستمر؟ التفتت يمنة ويسرة، واذ بها تجد جسراً خشبياً يصلح لمرور اللاندروفر. واسرعت تقود اللاندروفر عليه تسير في الاتجاه التي لاحظت ان حصاناً واقفاً هناك. وما ان

وصلت حتى هوى قلبها من جديد، فالحصان من دون الراكب. فنزلت تصرخ:

«بوبي! يا بوبي!».

شعرت بخوف ورهبة وبضلات قلبها جامدة. وما عاد صوتها يخرج من حنجرتها عندما لاحظت شيئاً ابيض عالقاً بين الصخور على طرف النهر. وصرخت «يا الله، انه قميص بوبي».

ومن دون ان تعبأ بسلامتها نزلت الى ضفة النهر والى الماء وراحت تمشي غير مكترثة بالصخور والاعشاب التي تعلق بركبتيها ورجليها. وفجأة دخلت بقعة مجوفة في النهر كادت ان تسقط داخلها لو لم تتشبث بصخرة قريبة. ثم من صخرة الى اخرى راحت تشد نفسها. الخوف على مصير بوبي تجاوز المصاعب التي تواجهها. واستمرت تدخل النهر في اتجاه الطرف الآخر حيث عارضة خشبية عريضة تتحرك وعليها بوبي ممدداً. ولكن لا حركة تبدو فيه.

الخطر اعطاها دفعاً جديداً وقوة في عضلاتها ساعدتها على اقتحام الماء وصولاً الى بوبي. وما ان وصلت اليه حتى اسرعت تستكشف حاله. وجدت جرحاً يسيل دماً على جبينه جعله يغيب عن الوعي. لا بد انه سقط عن ظهر الحصان وضرب رأسه في صخرة. صعدت الى العارضة وراحت تجري له تنفساً اصطناعياً محاولة اعادة الحياة اليه.

مرت خمس دقائق... وعشر دقائق... وهي تستمر في محاولة نفخ الحياة في فم بوبي. تسرب البرد الى عظامها، وشعرت انها تغيب هي الاخرى عن الوعي. ولا تعود الى الواقع الا وغريغ يصرخ:

«كوري؟ يا الهي، كوري، هل انت بخير؟».

اعتقدت انه حضر في الحلم ولكن حشرجة في حلق بوبي اعطتها القوة لتقوم وتحتضنه في حين تولى غريغ عن ظهر حصانه المارد جر العارضة الى ضفة النهر. ونزل غريغ وخلع معطفه المضاد للمطر وناوله لكوري قائلاً:

«ضعي هذا على كتفيك. سآخذ بوبي واعود بعد دقائق لآخذك».

شعرت بالخوف لانه سيتركها وحدها وصرخت:

«لا تتركني وحدي هنا؟».

فأجابها مهدئاً من روعها:

«بضع دقائق فقط واعود. اريد ان آخذ بوبي اولاً الى الكوخ الذي يبعد قليلاً من هنا. سأعود فوراً يا حبيبتي».

هزت رأسها واحاطت جسدها بالمعطف الذي اعطاها اياه وجلست الى جانب صخرة تنتظر. فكرت انه كان يجب ان تترك له المعطف يغطي بوبي به، هو تبلل كثيراً. نسيت الوقت الذي تنتظر فيه واسترجعت ما قاله لها غريغ. هل حقاً قال: «يا حبيبتي؟». وفكرت هل سيحبها غريغ يوماً؟ وكيف ستعرف بهذا الحب؟

وهي مأخوذة بهذه الافكار وصل غريغ، وحملها بين ذراعيه. قميصه كان ملتصقاً بجسده لشدة بلله وكذلك شعر رأسه. احاطت عنقه بيديها وقالت وهي تعانقه:

«آه يا غريغ، كم انا سعيدة لانك عدت. اعتقدت انني لن اراك بعد اليوم».

وفيما هو يحملها عانقها مردداً اسمها: «كوري، كوري...».

واضاف «اريد ان اطمئن اليك والى بوبي... وان اشعل ناراً تدفئكما».

وعلى ذكر بوبي سألت كوري عن حاله خائفة من الجواب ولكن جوابه جاء مطمئناً.

«سيكون بخير. كان رطباً جداً ولكنني لففته بغطاء صوفي».

وبعدما سار بها بضعة امتار انزلها الى الارض قائلاً:

«يبدو انك فقدت حذاءك؟».

«لا يهم. لا شيء يهم بعد اليوم».

وضعها على ظهر حصانه وانطلق بها الى الكوخ الذي بدا مضيئاً عندما وصلا. على الباب مد غريغ يديه ليحملها ولكنها قالت:

«بوبي قد يخاف ان رآك تحملني، سيعتقد انني مجروحة بسببه...».

ولكنه لم يأبه بما كانت تقوله بل حملها بين ذراعيه ودخل بها الكوخ المؤلف من غرفة واحدة. واذ ببوبي يرتجف من الخوف والبرد تحت الغطاء الصوفي، ويقول:

«قلت انك لن تغيب اكثر من دقيقة يا عمي غريغ، وقد تأخرت اكثر مما قلت».

اقترب منه عمه وطمأنه ثم توجه الى المدفأة يحاول ان يعثر على طريقة

يشعل الحطب فيها فيما قال لكوري:

«ابحثي لنفسك عن غطاء صوفي والتفي به. وانا سأحاول ان اشعل النار هنا».

بحثت عن غطاء لها ولفت جسمها به وشعرت ان تصرفات غريغ عادت قاسية وبدا غاضباً. مسحت دمعة من طرف عينيها. وجلست على مقعد قرب بوبي. وحتى بوبي شعر ان عمه غاضب فلم يقل شيئاً بل راح يتابع بنظره ما يفعله عمه لاشعال المدفأة. واخيراً صعدت رائحة الحطب المحروق وبدأت المدفأة تصعد لهباً اصفر ثم احمر مضفياً على الغرفة دفئاً واماناً.

وقام غريغ وحمل بوبي مزيلاً عنه الغطاء الصوفي واذا هو بملابسه الداخلية يشعر بالخجل. اجلسه على حضنه امام المدفأة وراح يدلك جسده بمنشفة غير مكتف بأن يزيل عنه الرطوبة بل ان يدفئه الى اقصى حد ممكن الى ان شعر بوبي بانه يكاد يتألم، فقال:

«انك تسلخ جلدي عني يا عمي».

«انا ارغب فعلاً في ان اسلخ جلدك، يا ولد».

ثم وضعه على مقعد طويل ودعاه الى النوم. ولم يكن بوبي بحاجة الى ملاحظة من هذا النوع اذ ان عينيه كانتا ثقيلتين تقاومان النوم عبثاً. وسأل عمه:

«هل انت وكوري ستنامان على المقعد الآخر؟ انك كنت تقول انه لا يتسع لواحد».

«سندبر امرنا».

وتركه يغفو وعاد الى كوري التي كانت جالسة امام المدفأة. فقال لها:

«الآن جاء دورك».

«استطيع ان اتدبر امري، شكراً».

وجعلت الغطاء يلفها من عنقها حتى اخمص قدميها.

ظهرت ابتسامة على وجه غريغ وقال:

«لا تخافي، انا لم اخطط ان افعل بك ما فعلته لبوبي، مع ان الفكرة ليست سيئة اطلاقاً».

ثم تابع يقول: «انا ممتن لك جداً لما فعلته لبوبي. انا متأكد ان امه

ستكون ممتنة لك ايضاً».

ونظرت اليه كوري وقالت:

«لا بد ان امه ستكون قلقة جداً لعدم عودتنا مع بوبي».

«لا لن تكون قلقة انا توقعت ان بوبي سيتبعه صوب الكوخ. وانك ستتبعينه. لذلك قلت لهانك ان يخبر ماريزا ان لا تقلق ان لم نعد الى البيت هذه الليلة».

وتساءلت كوري في ذاتها: ترى، هل فعلاً سيهمها الأمر بعد كل ما قالته اليوم؟ هل هي ام طبيعية تلك التي تصرخ بالعبارات التي قالتها ماريزا؟

واذ بغريغ يقوم ويقول انه سيخرج ليرى الحصان ويربطه في زاوية آمنة ويطعمه.

«وعندما اعود تكونين انتهيتِ من خلع ثيابك، والحفي جسدك بشرشف تناولينه من الخزانة».

وخرج غريغ. [illegible] كوري الى بوبي فوجدته غارقاً في النوم فخلعت سروالها المبلل وقميصها وثيابها الداخلية ونشفت جسدها بالمنشفة ولفته بالشرشف الذي دلها اليه غريغ. ثم سحبت كرسياً وجلست امام المدفأة وراحت تجفف شعرها. واذ غريغ يستأذن الدخول على الباب ثم يدخل. نزع قبعته المبللة. وخلع المعطف المضاد للمطر الذي كان وضعه على كتفيه عندما خرج. واقترب من المدفأة. واذ بالبخار يخرج من ثيابه المبللة جداً. فقالت كوري مهتمة:

«غريغ، انك مبلل جداً. يجب ان تنزع هذه الثياب عنك».

«هل الاحظ اهتمام الزوجة فيك؟».

ثم رجع الى الخلف وبدا انه ينزع ثيابه عندما ادارت كوري وجهها كي لا تراه. وبعد قليل قال:

«تستطيعين الالتفات الآن».

واذ به يحيط وسطه بمنشفة. ويقول:

«ساعد قهوة لكلينا».

«قهوة؟ هل حقاً توجد قهوة هنا؟».

«نعم، واذا كنت جائعة...».

«هل في الكوخ مأكولات ايضاً؟ انا جائعة جداً؟».

«توجد معلبات فول استطيع ان احضرها لك».

فوافقت فرحة، وقامت تساعم في اعداد القهوة واذا الشرشف يسقط عنها فيقترب منها غريغ مليء بالرغبة، ويعانقها. الا ان تحرك بوبي وصدور اصوات منه في عمق احلامه، ذكرت الكبار انهما ليسا وحدهما.

شربا القهوة واكلا الفول، وتمددا في مواجهة بعضهما هي على المقعد وهو على الأرض. وادركت كوري انه لولا وجود بوبي لكانت هي وغريغ اكملا ما كان ناقصاً في زواجهما.

ومع انها كانت تعلم ان انجذاب غريغ اليها هو حسي بحت، الا انها ما عادت تنزعج للفكرة. فهي تعلم انها تريده كلياً. وانها لا بد من تطور العلاقة بينهما الى ان تجعله يستسلم للعاطفة الانسانية المتنامية بينهما.

١٠ - اصبح الحلم حقيقة

أشعة الشمس المتسربة من نافذة الكوخ ايقظت كوري صباحاً. لم تتذكر فوراً اين هي ولكن حواراً هامساً بين غريغ وبوبي، ابقاها في مكانها مغمضة العينين.

«أنا اسف يا عمي غريغ، لم اكن ادري اني سازعجكما جميعاً عندما... عندما هربت».

«طبعاً انت لم ترغب في ازعاجنا يا ابني. ولكنك كدت تتسبب في مقتل كوري اضافة الى مقتل نفسك».

ولاحظت كوري ان غريغ يتحدث بحنان شديد مع الصبي الذي احبابه.

«انا لا اتمنى الأذى لكوري ابداً. انا احبها كثيراً، وانت تحبها، أليس

كذلك يا عمي؟».

ولم تسمع كوري اجابة غريغ. وبعد صمت قليل، قال بوبي:

«ان امي قالت...».

«ان امك تقول اشياء كثيرة لا تعنيها يا بوبي. هي لم تقصد ما سمعتها تقوله امس. كانت غاضبة من شيء آخر».

وصمت بوبي قليلاً ثم قال:

«وهل تعني ما قالته انها تريد ان تأخذني معها عندما تغادر المزرعة؟».

«هل تريد ان تذهب معها؟».

«كلا، بل اريد ان ابقى معك... ومع كوري».

«اذن ستبقى معنا. والآن كن هادئاً والا ستوقظ كوري قبل ان اكون اعددت القهوة».

وبعد قليل قال بوبي:

«طبعاً انت لم تنم مرتاحاً على المقعد الضيق مع كوري».

«كلا. قالت قلت ان المقعد ضيق».

ابقت كوري عينيها مغمضتين وهي تسمع خطوات غريغ الخفيفة في اتجاه المدفأة. وتساءلت: لماذا غريغ لم يخبر بوبي انه نام على الأرض؟ وفكرت باشياء كثيرة غيرها الى ان فاحت رائحة القهوة.

انفتحت عينيها ورأت غريغ مرتدياً ثيابه ويسكب القهوة في الفناجين وبوبي ايضاً مرتدياً ثيابه. ولاحظت ان ثيابها التي كانت بالأمس مبللة، منشورة امام المدفأة، موزعة بشكل مرتب بما في ذلك ملابسها الداخلية. وشعرت بخجل لانه لا بد انه فعل ذلك خلال نومها. وانه يلتفت نحوها فابتسمت وجلست في مكانها وهي ترفع الغطاء اليها. تناولت منه القهوة شاكرة ثم سألته:

«هل توقف المطر؟».

«ان الطقس جميل اليوم. سأخرج الآن لأرى ان كان اللاندروفر يصلح لانتقالنا. واذا كان كذلك، فسنغادر المكان جميعاً في اقرب وقت».

ثم نادى بوبي قائلاً:

«تعال معي يا صبي، اقفز وكن نشيطاً. ولنترك كوري لترتدي ثيابها بسلام».

قام بوبي وبدا كأنه لا يعاني كثيراً من تجربة الأمس، ولكنه يشعر ببعض الخجل من كوري. مر قرب كوري وقال لها مبتسماً:

«صباح الخير يا كوري، هل انت بخير؟».

«نعم انا بخير يا بوبي. هل انت بخير؟».

«نعم... انا آسف يا كوري، لم اقصد ان... لم افكر ان ساؤذيك...».

«لا تشغل بالك يا حبيبي، ويجب ان تعلم اننا نحبك كثيراً».

لوهلة بدا بوبي حزيناً وتكاد تغرورق عيناه بالدموع، فناداه غريغ عن قصد:

«اسرع يا ولد».

فسار في اتجاه عمه الذي وضع يده على ظهر بوبي وقاده الى الخارج. وفكرت كوري: كم يشبهان بعضهما. لا بد ان ابن غريغ سيكون يشبه بوبي تماماً. وراحت تشرب القهوة وهي تشعر ان غريغ وبوبي صارا كل حياتها.

وما ان اصبحت وحدها حتى قامت تسحب ثيابها الدافئة وترتديها. ثم ترتب المكان وتجعل كل شيء في مكانه الأصلي، من اغطية صوفية وشراشف وغير ذلك. وفيما هي تتنقل داخل الكوخ، وتفكر بتصرفات غريغ في الليلة الفائتة، وكذلك في الصباح، فكرت انها تتمنى فعلاً ان تكون ام اولاده. وانها ان كانت ستبدأ معه العلاقة الزوجية، فإن هذا المكان هو افضل الأمكنة للبدء بالعلاقة.

بعد قليل عاد غريغ مع بوبي. وبدءا متزعجين. قال غريغ:

«ان اللاندروفر عالق في الأوحال. سأحتاج الى مساعدة بعض الرجال. هل تنزعجين ان اخذت بوبي وذهبنا على ظهر الحصان الى المزرعة، لأعود بعد فترة قصيرة؟».

«كلا، ابداً. انا سأنتظرك».

وخرجت تراقبهما يعتليان الحصان المعد سلفاً. اصعد غريغ بوبي ثم التفت الى كوري قائلاً:

«لن اتأخر كثيراً. توجد كميات من الحطب يمكن ان تبقي المدفأة مشتعلة. وانا جلبت كمية من الماء اذا رغبت باعداد قهوة اضافية».

ثم ابتسم وهو يضيف:

«وهناك ايضاً كمية من معلبات الفول اذا شعرت بالجوع».

ولاحظت انه اراد ان يضيف شيئاً ولكن عاد يصمت ويلتفت الى الحصان. فنادته كوري وقالت وهي تشعر ان حلقها جف خجلاً:

«عندما تعود... هل يمكن ان تبقي معاً... بعض الوقت؟».

نظر اليها محدقاً في عينيها مباشرة محاولا ان يعكس عدة مشاعر في لحظة واحدة. ثم التفت الى بوبي وقال له:

«خذ الحصان وتنزه قليلا به. اريد ان اتحدث مع كوري على انفراد».

ومع ان بوبي اعرب عن خوفه من ان يرميه الحصان الكبير عن ظهره، الا انه استجاب لطلب عمه وابتعد.

ادخل غريغ كوري الى الكوخ. وقال وهو يحدق في عينيها:

«هل تقصدين بكلامك الذي انا فهمته؟».

«نعم».

قالتها بهمس وبحياء:

«اتريدين ان تجعلي زواجنا حقيقياً؟ هنا؟».

هذه المرة هزت رأسها، واحنته جاعلة شعرها يغطي جانباً من وجهها. تقدم منها ورفع وجهها بيده وقال:

«ولماذا الآن تغير الوضع عما كان عليه عندما كنا معاً على سرير واحد في منزل عائلة اندرسون؟ الن تتذكري حبيبك البعيد وتبكين عندما المسك؟».

ابتعدت كوري عنه غاضبة وحدقت فيه باندهاش. لقد فكر، في تلك الليلة، انها كانت تبكي من اجل روجر. واذ بصوتها يرتعش غضباً وهي تنفي:

«انا لم اكن ابكي من اجل روجر».

«اذن لماذا كانت الدموع...؟».

شعرت ان لسانها لا يساعدها على اطلاق كل ما يجول في رأسها. ولكن يجب ان تخبره انها كانت تبكي لانه هو الذي كان يفكر بامرأة اخرى عندما اقترب منها، امرأة تحق ان تكون الى جانبه في تلك اللحظة لا كوري.

نظرت اليه وقالت:

«ان الموضوع ليس كما تعتقد. في كل حال روجر خطب فتاة سيتزوجها قريباً...».

«آه، الآن فهمت. اذن فكرت ان تحولي رغباتك الرومانسية نحوي انطلاقاً مما حدث بالأمس».

ابتعد في اتجاه الباب ثم قال:

«اكره ان اخيبك، ولكن عناقي لك بالأمس كان مظهراً من مظاهر امتناني لك ليس اكثر».

«امتنان؟ لماذا؟».

«لما فعلته في انقاذ حياة بوبي».

شعرت بغضب شديد وقالت:

«تستطيع ان تحتفظ بامتنانك لنفسك».

واضافت وهي تشعر ان شرارات حقد تخرج من عينيها:

«وارجو ان تنسى ما قلته لك في بداية هذا الحوار. انا اخطأت في تقديري لك وانتهى الأمر».

ابتسم بخبث وقال:

«انت تثيرينني وانت غاضبة اكثر مما تفعلين وانت تقدمين نفسك لي على طبق».

فصرخت وهي ترتعش غضباً:

«أنت كريه، كريه. وانا لا اريد ان اراك بعد اليوم، اذهب ولا تعد. انا سأمشي وحدي».

نظر الى قدميها العاريتين وقال:

«ستمشين من دون حذاء؟ ان الارض ملأى بالأوحال».

«افضل الأوحال الف مرة على الركوب معك على ظهر ذلك الحيوان».

وجاء صوت بوبي ينادي عمه من الخارج، ويقول بحماس:

«هانك حضر ومعه بعض الرجال».

توقف غريغ قرب الباب ثم قال قبل ان يغادر المكان:

«ربما تركبين على ظهر ذلك الحيوان مع هانك. انا اعرف انه سيكون سعيداً جداً».

«انا مستعدة ان اذهب مع اي انسان غيرك».

«انا آسف لأني لن استطيع ان احقق لك ما تتمنين. لن يبدو حسنا منظر زوجتي ملتصقة بشخص غيري».

«لن يهم الأمر بعد اليوم. لأني ساخبرهم انني ما عدت زوجتك».

خرج غريغ من الكوخ ليلتحق بالرجال الذين حضروا. واطمأنت كوري عندما سمعت صوت محرك اللاندروفر، ورأت الرجال يحاولون تحريكه من بين الوحول في الضفة الاخرى من النهر. فكرت ان لا حاجة ان تركب فوق حصان مع غريغ، وان اللاندروفر سيحل الأزمة.

دخلت الى الكوخ ترتاح قليلاً وتتابع صوت هدير اللاندروفر. واذ بالصوت يبتعد شيئاً فشيئاً. هبت من مكانها الى الخارج واذ بها ترى اللاندروفر تسير مبتعدة في اتجاه المزرعة. وادركت ان الجميع رحلوا وتركوها وحدها. وبدأ الصمت يخيم على المكان ويزيد من شعورها بالوحدة والتعاسة. وتساءلت: ترى ماذا قال غريغ لبوبي والرجال الآخرين مفسراً بقاءها وحدها؟ هل افهمهم انه سيذهب ليجلب كمية المؤونة ويعود الى الكوخ؟ وتذكرت ما قال قبل ان يذهب: «انت تحبينني وانت غاضبة اكثر مما تفعلين وانت تقدمين نفسك على طبق».

«لا امل لك بي بعد اليوم يا غريغ مايسون». قالت لنفسها وبصوت عال. الرجل الذي احبت ورغبت فيه قبل بضع ساعات تحول الى شخص كريه.

هي ستكون غادرت المكان قبل ان يعود. وان كانت محظوظة فانها ستتمكن من الاتصال بشركة الطائرات الصغيرة الخاصة التي بها جاءت ماريزا. وعندما تحضر الطائرة فحتى غريغ لن يجرؤ على الوقوف في وجهها او يعلن للعالم عن زواج المصلحة الذي عقده مع كوري. ان اي محكمة في العالم لن تقتنع برجل مثل غريغ يعتمد اسوأ الأساليب من اجل الحصول على ابن شقيقه. انها احبت بوبي، ولكن مكانه الطبيعي هو مع امه. وان امه بالطبع ستقوم بمجهود افضل ان خرجت كوري من حياتهم. الأمر الذي قررته اعطاها القليل من الثقة بنفسها. نظرت الى الحشائش الغارقة في الأوحال حولها، والى السماء التي لم تنقشع فيها الغيوم تماماً، مما مكّن الشمس من التسرب من هذه الغيوم واضفاء بعض الدفء. ولما وجدت ان المسافة التي عليها ان تقطعها طويلة جداً، لا تقاس بالساعات بل بالأيام،

عاد اليها اليأس، واستندت الى باب الكوخ خلفها. وبعد قليل وجدت نفسها جالسة على الأرض، رأسها بين رجليها، والدموع تنهمر من عينيها. ان تنتقل من مشاعر حب عميقة لغريغ الى رفض وهجران كاملين منه، لأمر أكبر من ان تستطيع تحمله. والأسوأ من كل ذلك اكتشافها ان غريغ بات الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يلمس اوتار قلبها. الكره المولود من الجرح غطى رؤيتها الصحيحة للأشياء مؤقتاً، ولكن فكرة ابتعادها عن مزرعة مايسون وعدم رؤيتها لغريغ الى الأبد كانت مثل خنجر يطعنها في صدرها.

وراحت تجهش بالبكاء ولم تلاحظ ان شخصاً يقترب منها الا عندما اصبح قربها. رفع وجهها بين يديه وقال:

«كوري؟ لماذا تبكين؟»

«اعتقدت... انك... تخليت عني».

قالت ذلك مثل طفل بين يدي والده. فأجابها بلطف:

«انت تعلمين اني لا افعل ذلك».

وسحب من جيبه منديلاً يمسح به عينيها ووجهها. فقالت وهي تغص بالكلمات:

«وكيف اعرف ذلك؟ خصوصاً بعد كل الكلمات الرهيبة التي قلتها لي... ثم لم تعد الي بعدما رحلت اللاندروفر...».

«انا لم اعد بسرعة لأني احتجت الى بعض الوقت لأفكر، اضافة الى اني ذهبت ابحث عن حذائك».

وتابع:

«انا اعرف تماماً ماذا يعني لك ان تقدمي لي نفسك جسداً وروحاً. يا كوري، صدقيني اني اردت ذلك منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيني عليك».

فوجئت بكلامه وتوقفت دموعها في حدقتيها وهي تسترجع كلامه. ماذا يقول؟ انه تمناها زوجة حقيقية منذ البداية؟.

«ولكنك لم تعطني اي اشارة...».

راحت رأسها بحيث استند الى صدر غريغ. فشدها اليه بذراعيه وقال:

«كيف لم اعط اي اشارة؟ هل نسيت تلك الليلة عند بيل عندما اعتقدت انك تشعرين نحوي مثلما اشعر نحوك... ولكن عندما وجدتك فجأة تبكين لانني... لم اكن روجر...».

«ولكنني قلت لك هذا الصباح انني لم اكن ابكي من اجل روجر. انا لم افكر فيه، الاّ نادراً، منذ وصولي الى هنا».

«هل هذا صحيح يا كوري؟».

سألها وهو يداعب خصلات شعرها وبدا وكأنه اقتنع بكلامها، ولكنه اصر:

«اذن لماذا كنت تبكين؟ هل كنت خائفة مني؟».

«كلا».

ولم تجد الا ان تقول الحقيقة:

«انا كنت ابكي، لانني اعتقدت انك كنت تتخيلني امرأة اخرى. امرأة كنت تحلم بها عندما ايقظتك».

استنكر كلامها وقال:

«انت مخطئة جداً. صدقيني انا كنت اعلم تماماً ماذا كنت افعل، ومن هي المرأة التي الى جانبي. ما الذي جعلك تعتقدين انني كنت افكر بامرأة اخرى؟».

«انت كنت تردد في الحلم اسم ماريزا، وترجوها...».

«ماريزا؟ اذن انت اعتقدت اني...؟ آه يا كوري ان السبب الوحيد الذي يمكن ان تكون ماريزا في احلامي هو ان ارجوها من اجل ان تترك لي بوبي فاتمكن من انشائه في الشكل الذي تمناه والده».

«آه يا غريغ... انا اعتقدت...».

«كلانا اعتقد اشياء خاطئة لفترة طويلة».

عانقها في حنان، ثم حملها الى داخل الكوخ واغلق الباب خلفهما.

١١ - بوبي الابن الحقيقي لغريغ؟

في الصباح، وعلى ظهر الحصان، تقارب الزوجان السعيدان وتهامسا وهما في طريق العودة الى المزرعة، كوري شعرت انها في اسعد لحظات حياتها. ان رجل عمرها يحيط بها ويشعرها انها هي امرأة عمره بعدما اكتمل زواجهما في الليلة السابقة واصبح حقيقياً. تبادلا النكات والهمسات والحصان يسير ببطء من دون ان يقوده احد، بل تركه غريغ يختار طريقه من دون ان يشد له الرسن يمنة او يسرة.

قال غريغ وفمه يلامس اذن كوري:

«انا جائع جداً. استطيع ان آكل الآن كل ما تعده ايلين».

«ولكنك دائماً تأكل ما تعده ايلين».

«افعل ذلك من اجل ان لا اجرح مشاعرها. الآن اشعر ان ايلين لن

ترضي رغباتي بعد اليوم. انت تطبخين افضل بكثير منها».

فقالت كوري مازحة:

«آه، هل هذا هو الفارق الوحيد بيني وبين ايلين؟».

«لا اعتقد ذلك. ان شعرها لا يصبح ذهبياً عندما تنعكس عليه أشعة الشمس خلف طاولة الطعام عند الظهر... جسمها لا ينافس ممثلات هوليوود... وعيناها ليستا جميلتين مثل كتاب ارفض ان اتوقف عن قراءته».

«انت تقول اشياء جميلة تتناقض مع نظرتك غير الرومانسية للعلاقات الانسانية».

وتابع الحصان بهما وهما مأخوذان ببعضهما حتى بدأت بيوت المزرعة تظهر من بعد. فجعل غريغ جلسته اكثر جدية، غير راغب في ان يظهر لأحد من المزارعين سعادته الجديدة. هؤلاء قبلوا زواجه منذ البداية واعتبروه حقيقياً. ان الحب عند غريغ سيكون دائماً شيئاً حمياً بعيداً عن اعين الفضوليين. حبه سينمو مثل برعم ويتفتح في الغرفة الكبيرة حيث تنام كوري، والتي ستكون منذ اليوم حتى النهاية، غرفة نومهما معاً.

حياهما هانك من بعيد وقال:

«كنت سأرسل فريق عمل للبحث عنكما».

فأجابه غريغ ضاحكاً:

«حفظت رأسك عندما تأخرت في المشروع».

وتابعا طريقهما على الحصان حتى وصلا الى مدخل البيت. نزل غريغ اولاً ثم انزل كوري وعانقها ثم قال في اذنها:

«مع اني ارغب فيك الآن كثيراً، الا انني اكون شاكراً جداً ان احضرت قطعتي لحم اولاً».

«اذن قلبك في معدتك؟ ومع ذلك ان قطعة لحم مقلية على النار مع الزبدة والفطر تبدو اشهى بكثير من ذقنك غير الحليق».

«انا سأذهب ارى المزارعين قليلاً، واضع الحصان في الاسطبل واعود اليك على امل ان يكون الطعام جاهزاً».

ابتسمت كوري موافقة والتفتت الى الحصان تشكره وتقول:

«انت اعدت ثقتي بالطبع الهادىء للاحصنة».

«يجب ان تبدأي تعلم ركوب الخيل يا حبيبتي. اريدك ان تذهبي معي في مشاوير على ظهر الخيل اكثر وقت ممكن».

«سأفعل ذلك يا غريغ. سأتعلم ركوب الخيل وسأرافقك بالقدر الذي ترغب».

وفيما غريغ يبتعد مع الحصان، راحت كوري تراقبه وتفكر. المال لا يجلب السعادة، ولا كذلك الممتلكات المادية ولا بريق المجتمع. السعادة الحقيقية هي عندما يحب اثنان بعضهما بعضاً بصدق وقوة.

وعندما دخلت الى البيت واجهتها ايلين بوجه قلق.

«انا سعيدة جداً لرؤيتك يا كوري. السيدة مايسون تتصرف بشكل غريب منذ ان عاد بوبي. انها تغرق في الشرب. وهي تحاول ان تدبر امرها مع شركة طائرات خاصة لتنقلها خارج المزرعة».

واذ ببوبي يركض في اتجاه كوري يمسك بها ويقول:

«كوري، ارجوك اخبري امي اني لست مضطراً ان اذهب... عمي غريغ قال اني استطيع البقاء هنا معه ومعك».

«بوبي اهدأ قليلاً، واخبرني ما الحكاية؟».

«أمي تقول انها تريد ان تأخذني معها بعيداً من هنا. لا اريد ان اذهب الى... نيويورك... او لندن... او الى اي مكان في العالم. ارجوك يا كوري».

«اهدأ يا بوبي. اذا كان عمك غريغ قال انك تستطيع ان تبقى هنا، فانك ستبقى».

وانحنت تربت على ظهر بوبي ورأسه.

ايلين سألت:

«هل غريغ سيحضر الى البيت؟».

«بعد قليل يأتي، ذهب ينهي بعض الاشغال سيحضر لتناول الطعام. ارجو ان تخرجي قطعتي لحم من الثلاجة. واعتقد انه يوجد عندنا بعض الفطر، أرجو ان تحضريه ايضاً».

بدت ايلين سعيدة بتعليمات معلمتها. وتابعت كوري:

«خذي بوبي معك الى المطبخ. وانا سأصعد الى فوق لأتحدث مع السيدة مايسون».

ترددت كوري قليلاً في اسفل السلالم، ثم صعدت لتواجه المرأة التي تهدد سلام غريغ وامانه. شقيقه اراد ان ينشيء ولده هنا في المزرعة بعيداً جداً عن حياة القلق التي يمكن ان تعطيه اياها امه. وكوري شعرت ان غريغ على حق، ولكن اقناع ماريزا مسألة اخرى.

طرقت على باب غرفة ماريزا ودخلت واذ بها تفاجأ بحقائب السفر في كل مكان واكوام الثياب هنا وهناك، وماريزا تملأ المكان بحركتها المتواصلة.

قالت كوري:

«يا ماريزا، انا اعتقد... بل غريغ وانا نعتقد...».

«غريغ وانت؟» وضحكت ماريزا وهي تضيف:

«هل تعتقدين انك، بعد ليلة مع غريغ، صار بامكانك اعتباره لك الى الأبد؟ دعيني اخبرك يا عزيزتي، ان ذلك لا يعني شيئاً لغريغ مايسون. انت لن يمكنك التعامل مع رجل مثل غريغ مايسون حتى لو قدم لك على طبق».

«اعتقد اني احسنت التعامل حتى الآن. ولكنني لم آت الى هنا لاتحدث عن غريغ مايسون بل عن بوبي».

واذ بايلين تطرق على الباب وتدخل بالقهوة. فرحت كوري لتقدم ايلين، اذ اعطتها بعض الوقت لتستجمع افكارها من اجل بوبي.

قدمت كوري القهوة لماريزا قائلة بعدما انسحبت ايلين:

«خذي، اشربي، ستشعرين افضل ان فعلت».

«وماذا تعرفين بماذا اشعر؟ وماذا ستشعرين عندما يتخلى عنك غريغ من اجل فتاة اصغر سناً مثلما فعل معي؟».

شعرت كوري بطرقات قلبها تتلاحق. سكبت لنفسها فنجان قهوة وتذكرت نفي غريغ لأي علاقة بينه وبين ماريزا. وهي صدقته لأنه بدا صادقاً جداً. فقالت كوري لماريزا:

«ارجو ان تكفي عن ذلك يا ماريزا. لم يكن بينك وبين غريغ اي علاقة خاصة غير تلك التي في خيالك».

«هل هو اخبرك ذلك؟».

«هو لا يتحدث عادة عن هذه الاشياء. هو ليس من نوع الرجال الذين...».

«وماذا تعرفين من اي نوع هو؟ هل تعتقدين انه يمكن ان يخبرك انه قتل اخاه لأنه كان يشكل عائقاً بيننا؟ وانه بعد ذلك شعر بعقدة الذنب ووخز الضمير وما عاد يلمسني؟».

«انت تكذبين. ان غريغ لا يفعل شيئاً كهذا من اجل امرأة حتى ولو كانت تعني له كثيراً».

واذ بماريزا تفاجئها بجواب قاس، جعلت فيه كل غضب المرأة المطعونة وحقدها قالت:

«ربما لا يفعل شيئاً كهذا من اجل امرأة، ولكن من اجل ابنه يفعل اكثر».

وضحكت ماريزا بهستيرية عندما لاحظت وقع المفاجأة على كوري وعدم التصديق.

تابعت ماريزا:

«ولماذا تعتقدين ان غريغ مهتم جداً بالاحتفاظ ببوبي؟ لانه ابن شقيقه الراحل؟ ام لأنه ابنه؟».

واذ بكوري تسأل بصوت خافت وحلق جاف:

«بوبي هو... ابن غريغ؟ انا لا اصدق ذلك».

«في النهاية سوف تصدقين. لا بد انك رأيت الصورة قرب سرير بوبي لوالده ولي. الم تلاحظي عدم التشابه بين جون وبين غريغ؟ وان بوبي لا يشبه جون بل غريغ؟».

للحظة بقيت كوري جامدة في مقعدها وهي تتذكر كيف لاحظت منذ اول مرة رأت فيها بوبي انه يشبه غريغ، وكيف كانت تفكر انه لو كان لغريغ ولد سيكون يشبه بوبي. اضافة الى الحاح غريغ للاحتفاظ ببوبي...

قامت كوري من مقعدها وغادرت الغرفة من دون ان تنظر في عيني ماريزا لانها لو فعلت تعرف انها سترى انتصاراً ساحقاً.

دخلت الى غرفتها الكبيرة حيث السرير العريض الذي اعتقدت في الصباح انه سيجمعها مع غريغ من الآن وصاعداً. توجهت الى الكرسي الهزاز وجلست تنظر عبر النافذة الى الخارج. ما عادت تشعر بجوع ولا بأي رغبة اخرى.

كانت خططت فور عودتها الا تأخذ حماماً دافئاً، وترتدي فستاناً خاصاً

يعكس سعادتها الجديدة فتستجلب الاعجاب من غريغ. ولكنها جلست جامدة في مكانها. ولم تشعر بالوقت يمر الا عندما سمعت طرقاً على الباب وصوت غريغ:

«كوري! افتحي الباب، دعيني ادخل».

هل رأى ماريزا واخبرته ما كان يخفي عنها؟ وهل ستسمع اكاذيب جديدة؟ قامت من مكانها وفتحت الباب. واذ بغريغ يدخل والقلق باد على وجهه. لم يلاحظ غياب اي تعبير على وجه كوري. قال:

«كوري، يجب ان اطير الى قسم بعيد في السهل، بعض الرجال اتصلوا بنا عبر الراديو وابلغونا ان ثمة حالات تسمم بين بعضهم ويجب نقلهم الى المستشفى. سأذهب انا وهانك في الطائرة الصغيرة».

«ولكنك لم تأكل».

«انا قلت لايلين ان تحضر شيئاً سريعاً: قطع اللحم التي كنا ننوي اكلها مع الفطر ستنتظر يوماً او يومين الى ان اعود».

«يوم او يومين؟».

ثم عانقها وهو يقول:

«كنت اخطط لاشياء اخرى هذه الليلة. ولكننا سننتظر حتى اعود اليس كذلك؟».

لم تتجاوب لعناقه ولا سؤاله.

«ماذا في الأمر يا حبيبتي؟ هل غيرت رأيك فيّ بسرعة؟».

«كلا... لا... انا... فقط متعبة، هذا كل شيء».

«وجائعة ايضاً. ايلين تحضر الطعام لكلينا. فنأكل بعدما اكون انتهيت من الحمام».

وغادرها متوجهاً الى غرفته ثم الى الحمام. انتظرت في غرفتها حتى لاحظت خروجه. فدخلت هي لتنشق رائحة العطر الذي استعمله والعابق بين غيوم من البخار. وتحت المياه الساخنة راحت دموع كوري تنهمر من عينيها.

لماذا لم يخبرها الحقيقة عن بوبي؟ عن علاقته مع ماريزا؟ عن مقتل شقيقه؟ كان يمكن ان تفهم حبه لماريزا وواقع ولادة بوبي نتيجة ذلك الحب، وحتى قتله لشقيقه، رغم انها لا تصدق ان يكون مات الا قضاء وقدراً. ان

كذبه عليها هو الذي يجعل اي زواج صادق بينها وبينه مستحيلاً.

كان يأكل في سرعة عندما حضرت كوري الى غرفة الطعام. وجلست في مكانها الاعتيادي.

«اعتذر لأنني لم استطع انتظارك حتى نأكل معاً. الرجال ينتظرونني كما تعرفين».

«لا بأس. عندي وقت طويل».

وقام من مكانه واقترب منها واضعاً يده على كتفها.

«ارجو ان تأكلي جيداً. ثم ارتاحي جيداً حتى اعود».

واذ بالدموع تملأ مآقيها. هو اعتقد انها تبكي بسبب تغيبه، فقال لها:

«سأعود حالما استطيع العودة يا حبيبتي. صدقيني اني لا اريد ان اذهب».

وكيف تصدقه؟ وشعرت ان الكلام الصادق الوحيد هو ذلك الذي قاله لبوبي وهو يغادر البيت:

«اهتم بأهل البيت في غيابي يا ابني».

يا ابني، هل تراه بوبي يعرف كم هي حقيقية هذه الكلمة؟ وانه كان يستعملها لانه يرتاح بترديدها. وادركت كوري انها بعد اليوم لن تهتم بالموضوع. وغياب غريغ لبضعة ايام جاء في الوقت المناسب. اذ يجعلها تهرب من المزرعة من دون مواجهته. لان اي مواجهة ومحاورة لن تنفع شيئاً، بل تزيد من الجراح، وهي تعلم جيداً ان هذه الجراح لن تلتئم ابداً.

في المساء وجدت كوري نفسها في مواجهة ماريزا على طاولة الطعام في لقاء غير مرغوب. ايلين اعدت لها قطع اللحم بالفطر الذي كانت تنوي تحضيره في النهار لها ولغريغ. حاولت كوري ان تأكل ووجدت ان شهيتها مفقودة. وبقي الصمت مخيماً حتى قطعته ماريزا بقولها:

«اخبريني، هل سألت غريغ ما قلته لك؟».

ونظرت الى عيني كوري في جرأة اعتبرتها كوري وقاحة. ومع ذلك تابعت:

«انا لا يجب ان اكون قارئة افكار حتى اعرف انه نفى القصة كلها».

«كلا، لم ينف شيئاً؟».

«لم ينفع شيئاً؟».
«لا، لأننا لم نتحدث في الموضوع».
وصمتت ماريزا عن غيظ ثم قالت:
«تجاهل الحقائق لا يجعلها تندثر. اسمعي يا كوري، انت فتاة طيبة وانت لا تستحقين ان تجرحي من رجل من نوع غريغ مايسون. انت لا تفهمين ما يمكن ان يفعله غريغ من اجل الاحتفاظ ببوبي، انه سيزيد من ايهامك بحبه لك كلما اقترب موعد المحكمة في ايلول».
كوري اغمضت عينيها كي لا تراها ماريزا تبكي، ومع ذلك لم تستطع ان تقاوم طويلاً بل احاطت وجهها بيديها وتركت دموعها تنهمر. مدت ماريزا يدها لتربت على ذراع كوري قائلة:
«انا آسفة يا عزيزتي. لا احد يعرف كيف تشعرين اكثر مني. ولكن انت محظوظة لان ليس بينك وبين غريغ الروابط التي بيني وبينه».
وتذكرت كوري ان غريغ مرة استعمل كلمة «روابط» بوصف علاقته مع ماريزا. منذ زواج شقيقه. لا بد ان هذه الروابط تعود الى ابعد من ذلك. كم كانت بلهاء، عندما صدقت نفيه لأي علاقة حميمة معها.
ماريزا تابعت تسهل لكوري انسحابها من حياة غريغ
«ان طائرة صغيرة خاصة آتية من بلدة وليمس ليك غداً. انا طلبتها من اجلي. لماذا لا تذهبين انت فيها ما دمت قادرة الآن على الذهاب؟ عودي الى حياتك الخاصة قبل فوات الأوان. انسي مزرعة مايسون، وكوني شاكرة لأن الظروف ساعدتك على اكتشاف حقيقة غريغ في الوقت المناسب».
هل ستذهب في الوقت المناسب؟ واي وقت مناسب هو هذا بعدما طبع حب غريغ في قلبها وجسمها؟ ولكنها ستذهب في كل حال. كتبت رسالة قصيرة لغريغ، كبرياؤه سيمنعه من اللحاق بها. كتبت:
«غريغ انا آسفة لأني خرجت عن اتفاقنا وبهذه الطريقة. ولكن وجدت انه من الأفضل ان اخبرك بكلمات بسيطة سبب عدم احتمالي البقاء هنا. انا اكتشفت ان روجر ما يزال يعني لي الكثير. ربما وجودنا معاً في الكوخ احيا روجر في فكري. واعتقد انه من الأفضل لكلينا ان اغادر المزرعة في اثناء غيابك.

انا متأكدة انك تستطيع ان تنهي مسألة حضانة بوبي في شكل مناسب، وان يكون في النهاية حيث ينتمي فعلاً».
«كوري»
كانت خيوط الفجر بدأت تظهر عندما غرقت كوري في النوم. وعندما استيقظت نحو الثامنة اعتقدت انها ما تزال تحلم اذ رأت بوبي في بيجامته واقفاً الى جانبها. ولكن صوته كان حقيقياً وحزيناً عندما قال:
«أمي قالت انك ستغادرين المزرعة. هذا ليس صحيحاً اليس كذلك يا كوري؟».
جلست كوري في سريرها وقالت:
«نعم يا بوبي، هذا صحيح».
«ولكن لماذا؟ سأل والدموع في عينيه. وعمي غريغ يحبك كثيراً. انتما متزوجان».
شدته كوري اليها وعانقته قائلة:
«في بعض المرات... يتزوج اثنان يا بوبي... ويكتشفان بعد فترة... انها اخطأ. هذا ما حصل بيني وبين عمك غريغ».
«هل تقصدين انك لا تحبينه بالقدر الذي يحبك فيه؟».
شدته اكثر الى صدرها، ولم تستطع ان تكون صادقة. هي تحب غريغ من اعماقها. ولكن اعماق غريغ ملأى بحب بوبي وباستعمال اي وسيلة ليصل الى غايته. ولكنها قالت:
«لا... انا لا احبه».
وازداد بكاء بوبي وهو يقول:
«انا لا اريد ان ابقى هنا من دونك. خذيني معك يا كوري».
بكت هي ايضاً وقالت:
«لا استطيع ان افعل ذلك يا حبيبي. امك ستكون هنا. وربما ستبقى دائماً هنا معك ومع عمك غريغ».
«ولكن امي لا تهتم بي مثلما انت تهتمين. هي لا تقرأ القصص لي قبل ان انام. ولا تسبح معي في البركة. ولا تحب ان تذهب الى البحيرة او الى الكوخ...».
ابعدت رأسه قليلاً وتناولت منديلاً مسحت عينيه وانفه وقالت محاولة ان

تضفي املاً جديداً:

«ولكن امك تركب معك على الحصان، اليس كذلك؟ انا لا استطيع ان افعل ذلك، لأني اخاف من الأحصنة. في كل حال، ان امك ستفعل كل هذه الاشياء التي تتحدث عنها عندما اذهب انا. وفي المستقبل يمكن ان تأتي لزيارتي في فانكوفر فآخذك نتفرج على كل الأشياء الحلوة هناك. الى الحديقة العامة ومختبر الفضاء وغير ذلك...».

واخيراً اقتنع ان يغادر الغرفة من اجل ان تتمكن كوري من ارتداء ملابسها. ما يزال امامها ايلين تودعها. بعد نصف ساعة نزلت كوري من غرفتها بثياب داكنة تتلاءم مع مزاجها ذلك النهار. وتوجهت الى المطبخ مستعدة للبكاء. واذ بايلين تواجهها بغضب:

«انا اعتقد اشياء كثيرة عنك يا كوري، ولكنني لم اعتقد يوماً انك جبانة».

«جبانة؟!».

«هذه انت ان جعلت تلك المرأة تحرك الى مغادرة البيت».

«وما الذي يجعلك تعتقدين اني سأغادر البيت بسببها؟».

«لأنني اعرفها جيداً منذ زمن بعيد. انها تلاحق غريغ منذ مقتل شقيقه وهي ما تزال تريده لنفسها».

وتابعت بحدة:

«مهما اخبرتك بالأمس اشياء جعلتك تقررين السفر، تأكدي ان كل ما قالته هو بالتأكيد كذب في كذب».

«انت لا تفهمين يا ايلين. ثمة اشياء...».

«انا افهم ما يكفيني ان اعرف ان غريغ يحبك. وهو سيفاجأ برحيلك. سيحطم البيت لغيابك».

«غضبه ما عاد يهم. انا وغريغ ارتكبنا خطأ».

«خطأ؟ اي خطأ هذا الذي تتحدثين عنه؟ انني اعرف غريغ جيداً واعرف انه اسعد انسان معك».

ووجدت كوري انه من الملائم ان توقف الحوار في شكل من الاشكال. فقالت:

«في كل حال، ما بيني وبين غريغ لا يخصك. انت تعملين هنا في البيت

وليس في حياتنا الشخصية».

وندمت فوراً لأنها جرحت ايلين ومع ذلك فكرت انه من الأفضل للجميع ان تغادر البيت في اجواء عداء لأنها لا تريد ان تعود ابداً.

١٢ - مواجهة... مواجهتان

«هل تشعرين بتحسن يا اختي؟».

سألت دورين شقيقتها كوري، عندما دخلت اليها في غرفة النوم حاملة طبقاً فيه طعام الفطور.

كوري، نصف مغمضة، سألت عن الوقت:

«الساعة الحادية عشرة. جئت اليك قبل الآن ووجدتك غارقة في النوم كيف حالك؟».

«انا في خير».

مجيئها الى البيت. اليوم الفائت، بعد طيران مرهق من مزرعة هايسون، لم يواجه باسئلة من شقيقتها وصهرها اللذين رحبا بها بحرارة. واضافت كوري:

«شكراً لانكما لم تسألاني عن سبب مجيئي. الليلة الفائتة».

«هل ترغبين في التحدث الآن؟ لا تقلقي ان كنت غير مستعدة. انا افهم».

«لا استطيع ان اتحدث... الآن. ربما في وقت لاحق».

ربتت دورين على كتف شقيقتها ثم سكبت القهوة لكليهما. وقالت:

«انت تحبينه كثيراً يا كوري، اليس كذلك؟».

اغرورقت عينا كوري بالدموع وهي تهز رأسها بالايجاب.

«انا يجب ان اعترف اني اضطربت من تسرعك في الزواج، ولكن شعرت انك انت واثقة جداً مما تفعلين».

«كنت واثقة. ولكن الآن... لم ينجح زواجنا».

«ما عاد يهتم بك؟».

«ارجوك يا دورين لنتحدث عن اي شيء آخر».

«حسناً ولكن بعد ان تبدأي بتناول طعام الفطور».

وبدأت كوري تأكل وقالت دورين:

«في الحقيقة انا عندي شيء آخر اريد التحدث عنه. كنت سأكتب لك عنه: انا حامل يا عزيزتي».

«صحيح؟ هذا خبر مفرح. لا بد أن هاورد سعيد جداً».

«نعم. هو كذلك. انا كنت دائماً غير متحمسة لفكرة انجاب اولاد، كما تعلمين، ولكن اعتقد ان حماس هاورد جعلني ارضخ وافرح للفكرة».

«ستكونين اماً رائعة يا عزيزتي».

واقتربت من شقيقتها وقبلتها. وشعرت ان مشاكلها الشخصية انزاحت قليلاً من تفكيرها المباشر.

وقامت دورين قائلة:

«لا تستعجلي في القيام. خذي وقتك. انا خارجة في عمل.. واعتقد ان بضعة ايام نوم لك ستفيدك».

وفيما دورين تغادر الغرفة، شعرت كوري بالفرح الممزوج ببعض الحسد لأمومة دورين المقبلة. لو هي وغريغ كانا زوجين طبيعيين لكانت الآن هي تبلغ دورين الخبر السعيد. وتساءلت: ترى هل يمكن ان تثمر العلاقة الوحيدة مع غريغ؟

وإذ بضجيج في الخارج ينهي الهدوء وصوت غريغ يتصاعد في غضب:

«في اي غرفة هي؟ اخبريني او اكسر كل باب امامي بحثاً عنها».

«لا حاجة للخراب. تستطيع ان تفتح قبضات الابواب».

ولا بد انها دلته على باب كوري. الا في لحظة واحدة فتح الباب بعنف ودخل مغلقاً الباب بعنف ايضاً. هجم نحو كوري وازاح طبق الطعام من امامها واضعاً اياه جانباً.

«انهضي».

امرها غريغ وهو ينزع عنها الغطاء وامام تردد كوري رعد قائلاً:

«انهضي، وقولي لي في وجهي انك مغرمة بروجر».

ولكن من قبل ان يعطها الوقت الكافي، رفعها من ذراعيها بيديه قائلاً:

«اخبريني كم انت مجنونة بحب روجر، دعيني اصدق».

وأضاف من دون ان تجد مجالاً للرد:

«هل تعتقدين اني ابله لآخذ بحججك الواهية؟».

بعدما ارخى يديه عنها وجعلها تتمكن من الجلوس في سريرها، قال:

«والآن اخبريني الحقيقة وراء تركك للمزرعة».

شعرت بأن لا مجال امامها الا البوح بالحقيقة امام رجل شديد الثقة بنفسه. قالت وهي ترتعش:

«تركت لأني ما عدت احتمل العيش في بيت رجل كاذب».

«ومتى كذبت عليك؟».

«كذبت عندما لم تخبرني السبب الحقيقي وراء رغبتك الشديدة في حضانة بوبي».

«وما هو السبب الحقيقي في رأيك؟».

«انه ابنك... ابنك انت وماريزا».

وخيم الصمت على الاثنين وهما ينظران الى بعضهما بجمود. ولاحظت كوري انحسار اللون من وجه غريغ. واخيراً قال:

«ماريزا اخبرتك ذلك؟».

«نعم، هي اخبرتني. وكذلك انك اردت شقيقك ان يرحل لأنك تريد بوبي».

قامت من السرير لتقف امام طاولة الزينة محاولة عدم النظر الى غريغ وهي تقول:

«لا حدود لما يمكن ان تفعله من اجل الحصول على بوبي. حتى في الادعاء بأنك تحبني. حتى في ذلك الكوخ معاً فعلت كل شيء من اجل ان ابقى الى جانبك حتى دعوى الحضانة».

اقترب منها في سرعة، ولاحظت انه كان يرفع يده عندما التفتت اليه وفي عينين يملؤهما الحقد قالت له:

«لماذا لا تنفي ذلك يا غريغ؟ ماريزا قالت انك بالطبع ستنفي هذه الحقيقة».

«اذن بحث الموضوع لن يغير شيئاً في رأيك؟».

«لن يغير شيئاً».

وعادت تنظر الى طاولة الزينة والزجاجات عليها. وصرخت في داخلها: لماذا لم يحاول ان ينفي الخبر؟ لأنه حقيقي، جاء جواب عقلها.

«لماذا لم تتزوج ماريزا منذ زمن بعيد؟ لماذا لا تذهب وتتزوجها الآن؟ انتما تستحقان بعضكما».

تحرك في اتجاه باب الغرفة وقال:

«اشكرك. وربما افعل».

وخرج مغلقاً الباب خلفه بهدوء. وبعد دقائق وفيما كوري واقفة كالجماد، سمعت صوت محرك السيارة ينطلق ويبتعد.

فرمت بنفسها على السرير وهي تبكي وتردد: «آه يا غريغ».

دورين كانت تقرأ الجريدة عندما قالت لكوري:

«ماريزا مايسون ستعزف هذه الليلة في فانكوفر».

فاجابتها كوري التي مضى على وجودها هنا نحو الشهرين:

«نعم اعرف. سأذهب مع جويل الى الحفلة».

«وهل تعتقدين انه من الملائم ان تذهبي؟ انها زوجة شقيق غريغ».

اليست كذلك؟».
«نعم، انها والدة بوبي. ألم اخبرك انها حضرت الى المزرعة عندما كنت هناك؟ وكانت تعزف لنا في الامسيات».
«هل حقاً كانت تفعل ذلك؟ الخبر في الجريدة يقول: انها بدأت جولة في شمال اميركا انطلاقاً من فانكوفر وانها آخر جولة لها. سوف تتزوج مرة جديدة ولكنها لا تقول اسم الرجل لأنه لم يتحرر بعد من زوجته. يا لهؤلاء الناس. يتزوجون ويطلقون ويتزوجون. . .».
ثم سألت: «هل كنت تعلمين ان ماريزا مايسون ستتزوج؟».
«كلا لم اعرف ذلك، مع اني توقعت ان تفعل».
وقامت كوري منعاً لمزيد من الحوار اضافة الى انها بدأت عملاً موقتاً في التعليم في مدرسة خاصة للبنات وعليها ان تلتحق بعملها.
ولكن دورين عادت تسأل:
«هل غريغ هو الرجل الذي سوف تتزوجه؟
«لا اعرف يا دورين، ربما. يجب ان اذهب».
وانسحبت كوري، حابسة الدموع في عينيها الى ان اصبحت على الطريق العام. الاسبوع الماضي وصلها من محامي غريغ رسالة يبلغها فيها عن رغبته في انهاء عقد زواجها القصير. اذن لا بد ان رجل ماريزا المجهول هو غريغ نفسه. ان ذلك افضل لبوبي. لن يكون عظمة يتنازعها شخصان قويان. سيكون مع والديه الطبيعيين. وماريزا يمكن ان تكون زوجة واماً سعيدة. ربما تنجب اولاداً غير بوبي يساعدون غريغ في ادارة المزرعة عندما يكبرون.
وشعرت بالغصات تتلاحق في حلقها، وبدموعها تنهمر على وجهها. ولاحظت توقف احدهم ناظراً بشفقة واهتمام، ولكنها لم تترك مجالاً للشرح، بل اسرعت في اتجاه المدرسة. فقط تمنت لو غريغ عثر على حل لمشاكله منذ البداية، لما كان من حاجة لكوري. . . ولما كانت وقعت في حبه. . . ولما كانت هي يائسة الآن.
منذ اللحظة التي جلست فيها ماريزا امام البيانو في القاعة الضخمة شعرت كوري انها تحلق بعيداً. المرأة هي ذاتها، حضورها القوي ذاته. القليل من السواد تحت العينين نتيجة التعب والسهر، ولكنها تبدو مرتاحة

مطمئنة، هل السبب: المشروع الجديد في حياتها؟ جويل هندريكس، استاذ الرسم في مدرسة البنات حيث تعلم، اشترى بطاقتين في مقاعد امامية له ولكوري. منها بدت معالم ماريزا واضحة تماماً لها. لم يعلق جويل على شخصية العازفة. وكوري لم تقل شيئاً عنها. وما جمع الاثنين هو حبهما للموسيقى الكلاسيكية.
وعندما سلطت الاضواء بعدما انتهت ماريزا من العزف في الوصلة الاولى لاحظت كوري ان جويل قال شيئاً:
«عفواً ماذا قلت؟ كنت مأخوذة بالموسيقى».
«قلت اذا كنت تحبين تناول القهوة في مقهى المسرح؟».
وقبل ان تجيب جاء موظف من المسرح حاملاً في يده ورقة صغيرة مطوية وقال:
«سيدة مايسون؟ هذا لك».
اخذت كوري الورقة وقرأت:
«تعالي الى خلف الكواليس. من دون رفيقك. م.».
وبقي الرجل الموظف ينتظر. ولما لاحظ تردد كوري قال:
«ليس عند السيدة وقت طويل، لأنها ستعزف الوصلة الثانية بعد استراحة قصيرة».
استغرب جويل الكلام الدائر. وقال:
«تقصد ماريزا مايسون؟».
وتناول الورقة من يد كوري وقرأها حتى النهاية. بدا منزعجاً. وسأل كوري:
«لم اعلم انك تعرفينها. هل ثمة قرابة بينكما؟».
«نعم، انها زوجة شقيق زوجي».
وقامت تتبع الموظف قائلة:
«اعتذر يا جويل، ولكن علي ان اذهب».
كان وجه كوري عابساً وهي تتقدم نحو العالم الساحر خلف الكواليس. دخلت غرفة وثيرة حيث ماريزا في انتظارها.
«شكراً لأنك حضرت الى الكواليس يا كوري. انا اردت ان اراك الآن مخافة ان لا اتمكن من ذلك بعدما تنتهي الحفلة. وحتى الآن الوقت ضيق».

قالت ذلك وهي تنظر الى الباب وكأنها تتوقع احداً. هل تراه يكون غريغ مايسون؟.

«وما الأمر الملح الذي جعلك تطلبين رؤيتي في منتصف الحفلة؟»

سألت وهي تخاف ان يكون استدعاء ماريزا هو الامعان في التشاوف واظهار انتصارها الأخير. ولكن ماريزا بدت حزينة ومنقبضة. فسألت كوري:

«ارجو ان لا يكون عندك خبر سيء. هل بوبي في خير؟».

«بوبي في خير. ولكن يفتقدك كثيراً. ارجوك اجلسي. انا سعيدة لأنك حضرت الليلة. لم تكن عندي وسيلة لتصل فيها بك».

«كان بامكانك ان تسألي غريغ».

«هذا صحيح، ولكنني فضلت ان لا يعرف غريغ عن رغبتي في مقابلتك. انا اردت ان اقابلك من اجل بوبي. انا، كما تعرفين، لم اكن يوماً اماً ناجحة. ولأكن صادقة معك اكثر، بوبي لم يكن يعني لي اكثر من سبب لأرى غريغ من وقت الى آخر».

«انا لاحظت ذلك».

«انا لا املك هدوءك مع الأولاد، طريقتك في التصرف...».

«انا معلمة. وقد تدربت على...».

«انا لا اتحدث عن التدريب... انت عندك ملكة طبيعية في التعامل مع الاولاد».

وقامت من مكانها وهي تضيف:

«بوبي كان حزيناً جداً. عندما غادرت البيت. ولم يتمكن لا غريغ ولا انا من تعويض ذلك».

وكادت كوري تضحك من قهرها وهي تتساءل: تُرى هل تعرض عليها ماريزا وظيفة العناية ببوبي في اثناء غيابها مع غريغ في رحلة شهر عسل؟ وكأن ماريزا قرأت افكارها، فقالت:

«لا بد انك سمعت ان هذه هي اخر جولة موسيقية لي، وعن زواجي القريب. ان زواجي الاول لم يكن ناجحاً. جون لم يكن قوي الشخصية، لم يكن يشبه غريغ: كنا نكون اسعد لو اظهر القليل من السيطرة. الآن اعلم اني كنت دائماً احتاج الى رجل له ارادة صلبة».

ولماذا تخبرها كل ذلك؟ وهل اكتشفت في قلب غريغ حناناً جديداً؟

وتابعت ماريزا:

«الآن انا تغيرت. فجأة شعرت اني اريد ان اكون كل ما يمكن ان تكونه الزوجة. اريد ان اطبخ طعامه، اجعل بيته جميلاً وهادئاً في انتظار عودته، حتى اريد ان اغسل جواربه... مع ان ذلك لن يكون ضرورياً».

«طبعاً لا. هو يدفع للناس ليقوموا بهذه الأعمال».

«ماذا قلت؟».

«لا شيء يا ماريزا. ما زلت لا افهم لماذا طلبت مقابلتي. ان كنت تريدين تهنئتي لك بمشروع زواجك، فمبروك».

وقامت تريد ان تذهب. واذا بيد ماريزا تضغط على ذراع كوري.

«انا لم اطلب منك ان تأتي الى هنا من اجل هذا السبب. انا...».

«ان الوقت ضيق ويجب ان اذهب».

«انا لم اكن حسنة التعامل معك. وفي الحقيقة انا كنت سيئة. اسأت اليك. واريد ان اضع الأشياء في موضعها السليم ان استطعت. لا استطيع ان انعم بسعادتي الجديدة التي وجدتها، اذا لم احاول ان...»

واذ بكلامها يقطعه نقر على الباب وحضور شخص قابلته ماريزا بالقول:

«يا حبيبي بكرت في الحضور، لم ننه كلامنا بعد».

وهوى قلب كوري وهي تعتقد ان غريغ دخل الغرفة وعندما التفتت رأت رجلاً اشقر في الاربعين من العمر، سمين، ولكن فيه ملامح نعومة خصوصاً في نظراته لماريزا. قال:

«حان الوقت للوصلة الموسيقية الثانية يا حبيبتي».

«لا بأس، ولكن الآن تعال اعرفك الى كوري».

وضعت يدها تحت ذراعه وقالت:

«كوري، هذا فنسنت تاربن الرجل الذي سوف اتزوجه. وهذه كوري، زوجة غريغ».

مدت يدها تسلم على الرجل، وهي تكاد لا تفهم ما يدور حولها.

«تصوري يا كوري. انا وفنسنت نعرف بعضنا منذ سنوات، ولكن يبدو

كأننا اكتشفنا عواطفنا تجاه بعضنا مؤخراً».

نظر فنسنت الى ساعته، فتحركت كوري الى الخارج وتبعتها ماريزا وبقي الرجل بعيداً قليلاً. فقالت كوري في صوت خافت:

«انا اعتقدت... انك ستتزوجين ... غريغ».

واجابتها ماريزا في صوت خافت ايضاً:

«وماذا تعتقدين اني احاول ان اقول لك؟ غريغ يحبك انت وليس انا. هو جعل ذلك واضحاً عندما عاد الى المزرعة من فانكوفر بعد مقابلتك».

«هل هو قال ذلك؟».

«ليس بالكلمات. ولكني اعرف غريغ جيداً. كان غاضباً جداً لما قلته لك الى درجة انه طلب ان احمل اغراضي وارحل».

«وما الذي يجعلك تعتقدين انه يحبني الآن».

«لأنه كان كالمجنون. الا ترين انه لو لم يكن يهتم بأمرك لما كان اهتم لما قلته لك».

وتابعت ماريزا بصوت هامس:

«جنونه، ثم فنسنت ساعداني على الشفاء من جنوني انا. في كل حال لا تأخذي كلامي كما هو بل اذهبي واعرفي بنفسك. على الأقل بوبي سيستقبلك بترحاب شديد».

«هل ربح غريغ دعوى الحضانة؟».

«اي دعوى هذه. انا لم اكن انوي اطلاقاً التقدم بدعوى. كنت اعلم دائماً ان بوبي موجود حيث يجب ان يكون... مع غريغ...».

ثم ترددت قليلاً قبل ان تقول:

«كوري، لم يكن صحيحاً ما قلته لك عن ان...».

واذ بفنسنت يقاطعها من بعيد بصوت حسم عودتها الى المسرح. وقبل ان تواجه الجمهور قالت لكوري:

«اذهبي. حظاً سعيداً».

كوري بقيت جامدة في مكانها عندما جاء الموظف يريد ان يأخذها الى مكانها بين الجمهور. الا انها لم ترغب في العودة، بل ناولته ورقة ليوصلها

الى جويل كتبت فيها اعتذارها لانها مضطرة ان تترك المكان.

وفي الهواء الطلق في الخارج، سحبت كوري نفساً عميقاً. وادركت انه مهما كان صادقاً او كاذباً ما قالته ماريزا، فان عليها هي ان تذهب لترى غريغ، وتخبره انها تفهمه.

١٣- الى الأبد

كوري في الطائرة الصغيرة الخاصة تحلّق فوق مزرعة مايسون. وعندما رأت المنزل الكبير على التلة بدأت تتصبب عرقاً. هل صدقت ماريزا فقط لانها تريد تصديق ان غريغ يحبها؟ وانه قال الحقيقة عندما ابلغها في الكوخ انه كان يريدها زوجة حقيقية منذ البداية؟ وهل التغيير الفجائي في شخصية ماريزا حقيقي ام ان تشجيعها كوري للذهاب الى المزرعة فيه خبث وهي تعلم سلفاً ان غريغ سيرفضها؟ حارت كوري جواباً ولكنها ادركت انها بعد لحظات ستعرف. وقبل ان تنزل الطائرة وتلمس الارض، لاحظت سيارة اللاندروفر تتحرك من بين الابنية في اتجاه المطار الصغير. هل يمكن ان يكون غريغ يسرع صوبها؟ او هانك؟ ولكنه غريغ، بقبعته الكبيرة وكتفيه العريضتين، ورجليه الطويلتين يقترب منها حيث وقفت قرب الطائرة.

«كوري؟».

كلمته جاءت سؤالاً ويقيناً في الوقت ذاته. نبرة صوته أرسلت رعشة فرح في داخلها الى درجة ان صوتها جاء متعدد النبرات:

«مرحباً يا غريغ».

وكأنه لا يصدق انه يراها، التفت الى قائد الطائرة مرحباً،

«مرحباً يا جيم، هل عندك وقت تنزل وتشرب قهوة؟».

«كلا، شكراً يا غريغ. سأتركك انت وزوجتك تجتمعان في هدوء. فقط احتاج الى مساعدة في انزال حقائب زوجتك».

ونزل قائد الطائرة يفتح باب صندوق الشحن. واذ بغريغ يعود الى كوري ويسألها:

«هل ستبقين؟».

سؤاله الذي جاء خالياً من الحماس نزع كل فرح غمرها لحظة رأته:

«ان اردتني ابقى».

«هذا يعتمد على سبب مجيئك».

قال ذلك بفم مشدود ومن دون ابتسامة. وعاد الى قائد الطائرة يساعده في الحقائب. هو لا يبدو سعيداً لرؤيتها، قبلها على خدها في سرعة ربما من اجل ارضاء قائد الطائرة فقط. وفكرت ان تقول للرجلين انها اخطأت في المجيء، وانها تريد ان تعود في الطائرة الى وليمس ليك فوراً. ولكنها قررت ان تبقى. انها حضرت لتخبر غريغ انها تتفهم كل مواقفه وتصرفاته. ومن ثم تطلب ان تعود في طائرة خاصة ثانية في وقت لاحق من النهار. شكرت قائد الطائرة، وتبعت غريغ الى سيارة اللاندروفر حيث وضع حقائبها قرب المقاعد الخلفية ثم مد يده يساعدها في الركوب. حيا جيم بتلويح يده ثم ركب خلف مقود السيارة، وادار المحرك وسار في اتجاه البيت الكبير.

«غريغ، هل... يمكن ان نتحدث قبل الوصول الى البيت؟».

«نستطيع ان نتحدث هناك. والد ايلين يموت وهي ذهبت لبضعة ايام. وبوبي تحت عند جين لبضع ساعات».

«آه، انا آسفة لوالد ايلين؟».

«هو رجل كبير، عاش حياة طويلة. وهو اراد ان ينتهي منذ بعض الوقت».

وانتهى الحوار عند هذا الحد. وبقي الاثنان صامتين حتى وصلا الى البيت. وعندما نزلا من اللاندروفر قال غريغ:

«سأحضر حقائبك في وقت لاحق. لندخل البيت الآن».

هل قال ذلك لأنه توقع ان تعود من حيث اتت؟

دخلت البيت وادركت انَّ مشاعرها تختلف عما كانت عندما دخلته اول مرة. ان كل شيء حولها تعرفه وتشعر بالانتماء اليه. تنشقت رائحة السيكار في غرفة الجلوس. سألت:

«هل صرت تدخن في غرفة الجلوس؟ ما كنت تفعل ذلك في الماضي؟».

«كان عندي زوجة كنت لا احب ان ازعجها».

خلع سترته ومد يده يساعدها في خلع سترتها هي ايضاً. ويضعها جانباً. ثم ينحني ليشعل المدفأة. راقبته يفعل ذلك بمشاعر حب غمرتها. ولكن عادت تسرح نظرها من النافذة صوب السهل وهي منحنية على البيانو.

«السهل يبدو الآن مختلفاً عما كان عليه عندما...».

لم تستطع ان تكمل جملتها اذ وجدت غريغ يقترب منها ويضع يده تحت ذراعها ويديرها صوبه لتنظر الى عينيه المحدقتين فيها ويقول:

«الآن اخبريني لماذا جئت يا كوري؟».

سأل بهدوء ثم سحب يده من ذراعها ووضعها في جيبه. قالت من دون ان تنظر في عينيه بل في قميصه:

«التقيت بـ... ماريزا».

«آه؟ وماذا اخبرتك هذه المرة حتى عدت الى هنا؟ هل قالت اني ما عدت قاتل اخي ولست والداً غير شرعي لابني؟».

لاحظت في كلامه مرارة شديدة وفي عينيه غضباً.

«كلا، لم تقل لي هذا. بل قالت انك... تحبني».

لبضعة ثوان بقي جامداً. فقط عضلة في وجهه كانت تتحرك بعصبية. ثم ضحك وقال:

«وهل صدقت ذلك ايضاً؟ انا لا افهمك. انت امام ماريزا مثل لعبة تسيرها الخيطان. اذا اخبرتك ان القمر مصنوع من الجبنة تصدقينها. اليس

كذلك؟».

«كلا. هي كانت اخبرتني ان مقتل شقيقك لم يكن [illegible] وانا لم اصدقها».

«لم تصدقيها؟ هذا لم يكن انطباعي عندما جئت اليك في فانكوفر. بدا لي انك حاكمتني وادنتني سلفاً من دون ان تسمعي وجهة نظري ولا حتى مرة واحدة».

«كنت مجروحة يا غريغ... اعتقدت... انك استعملت عواطفي تجاهك... استعملتني كلي... من اجل اهدافك الخاصة».

ونظرت اليه وهي تتابع بحب:

«انا لم اصدق انك اردت جون ميتاً. انا كنت متأكدة انك لا ترتكب شيئاً كهذا».

«وماذا عن بوبي؟ هل جاء نتيجة حادث ايضاً؟».

امتقع وجهها وهي تجيب:

«كلا، انا لا اعتقد انك وماريزا خططتما ذلك. ولكنني افهم ماذا حدث، ولماذا لم ترغب ان تكون صادقاً معي يا غريغ في هذا الموضوع بالذات. قليل من الناس يعرفون الحقيقة، الافضل لبوبي من ان يكتشف من هو...».

«والده؟».

صمت قليلاً ثم... وكأن قنبلة قد انفجرت، وضع يديه على ذراعيها وهزها وهو يقول صارخاً:

«اللعنة على تفسيراتك الخاطئة يا كوري، اللعنة على رأيك بأهدافي الحقيقية. كيف يمكن ان تكوني ما زلت غارقة في الخطأ نفسه؟».

ثم توقف عن هزها ولاحظت الألم في عمق عينيه وهو يتابع بهدوء هذه المرة:

«لا شيء يسعدني مثل اعتبار بوبي ابني الشرعي. ولكن لسوء الحظ لا مجال لذلك. امه لم تكن يوماً اكثر من زوجة اخي. هي ارادت العلاقة غير ذلك، منذ اللحظة التي حضرت الى هنا مع جون».

وابتعد الى المدفأة، وتابع وهو ينظر الى ألسنة النار:

«جعلت حياته جحيماً. جعلته يترك عمله كمهندس ويتبعها حول

العالم، ويعرف عن كل علاقاتها الجانبية مع الرجال».

وضحك وهو ينظر الى السقف ويقول:

«المضحك انها لم تكن المرأة التي تذهب بعيداً في هذه العلاقات الجانبية. كل ما كانت تفعله هو من اجل تعذيب جون. من هنا هو كان يعلم انه الأب الحقيقي لبوبي».

وبدت كوري حزينة وانحسر اللون من وجهها. جلست على اقرب مقعد وقالت:

«ولماذا بقي الى جانبها؟».

«لأنه... لأنه... احبها. احبها في الطريقة الرومانسية ذاتها التي كنت تتحدثين عنها. الحب الذي يربط الرجل بسلاسل من حديد ولا يستطيع ان يراها الا بعدما يكون قد فات الاوان».

الآن فهمت، ولكن متأخرة جداً، لماذا غريغ كان يرفض الحب الرومانسي. وهي ساهمت في جعله يرفض اكثر واكثر هذا الحب.

«هل احببتني، في تلك الطريقة لبعض الوقت يا غريغ؟».

وبعد صمت قصير قال موافقاً:

«نعم. مثل ابله. جعلت نفسي اقع في فخ اقسمت مراراً ان لا اقع فيه. هذا كان قسمي لشقيقي عندما سقط بين ذراعي مضرجاً بدمائه. ماريزا كانت تصرخ في تلك اللحظة.....».

«ماريزا؟ هل كانت هناك؟».

«نعم كانت هناك. هي خبيرة صيد. كانت تذهب مع والدها في رحلات صيد. عندما أطلقت النار...» ودل على الجرح في وجهه ثم تابع:

«الدب جاء الي اولاً، ناداه جون ليبعده عني. انقذ حياتي ولكنه خسر حياته. وقال لي وهو يفارق الحياة ان آخذ بوبي وأربيه هنا حيث هو نشأ. لم يكن يريد ان يذهب بوبي مع ماريزا حول العالم، يحطم حياته مثلما حطم هو حياته».

«اذن ماريزا هي التي اصابت جون؟».

«كان حادثاً. انا متأكد من ذلك. الرصاصة التي قتلت الدب اصابت جون اولاً. كان حادثاً غير مقصود».

وخيم الصمت على الاثنين. فقط اشتعال الحطب في المدفأة كان يمنع الهدوء الكامل. واخيراً قامت كوري من مكانها واقتربت من غريغ والدموع تملأ عينيها.

«غريغ، انا آسفة. آسفة لجون و... ماريزا... وكل شيء، والاكثر، انا آسفة لانني اسأت الحكم على الرجل الذي احب كثيراً جداً. انا لا اريد ان اتركك يا غريغ... اريد ان أبقى معك الى الأبد. ان أكون زوجتك الحقيقية، والدة اولادك وبوبي. ولكنك ان اردتني ان ارحل سأفعل ذلك».

لم يقل شيئاً. لم ترى في عينيه ما رغبت ان ترى. نظرت الى الارض ستدارت تريد ان تبتعد. فمد يديه وعانقها وهو يقول:

«.. أ تستحين من التزام اعلنته؟ هل ستجعلين الهروب مني ومن التزاماتك عادة؟».

«كلا يا غريغ ابداً. لن افعل ذلك ابداً».

«لأنه اذا فعلت، فانني سأبحث عن طريقة اربطك فيها الى حدائد السرير الزوجي كلما غادرت انا البيت».

شاركته الضحك قائلة:

«انت ربطتني بسلاسل غير عادية يا حبيبي والى الابد».

«يا حبيبتي الى الأبد...».